

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية
تصدرها شبكة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الخامس	٣٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢	المجلد الرابع عشر
--------------	--------------------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد رفيع حجازي

الإدارة	الاشتراكات عمه سنه
ميدان الأزهر	داخل القطر ٢٠٠
تليفون : ٨٤٣٣٢	لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	خارج القطر ٣٠٠

نمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤٣)

فهرس

الجزء الخامس - المجلد الرابع عشر

صفحة		
١٩٣	السيرة المحمدية -- فتح مكة ...	بقلم حضرة الأستاذ مدير المجلة ...
٢٠٠	تفسير سورة الزلزلة ...	» فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ...
٢٠٢	الفلسفة الإسلامية في المغرب ...	» حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب ...
٢٠٦	الفلسفة في الشرق ...	» فضيلة الأستاذ الشيخ محمد يوسف ...
٢٠٨	مندوب الاتحاد الإسلامي الصيني ...	» رئاسة التحرير ...
٢٠٩	عثمان بن عفان ...	» فضيلة الأستاذ صادق عرجون ...
٢١٣	الحلف بالنبي ...	لجنة الفتوى ...
٢١٣	معنى الصلاة على رسول الله ...	» ...
٢١٤	أعوبة لاسقاط الصلاة ...	» ...
٢١٥	الوظيفة أو صلاة الجمعة ...	» ...
٢١٦	دفع شبهة عن الاسلام ...	بقلم حضرة الأستاذ مدير المجلة ...
٢٢٠	وادي السعادة ...	» صاحب العزة عبد السلام محمود بك ...
٢٢٤	مصادر العدالة ...	» حضرة الأستاذ علي سامي النشار ...
٢٢٧	محمود سامي البارودي ...	» فضيلة الأستاذ احمد موسى ...
٢٣١	بلاغة عبد القاهر ...	» ...
٢٣٥	تحقيقات ...	» ...
٢٣٨	ذكرى مولد النبي ...	» ...
٢٣٩	احتفال الازهر بعيد الجلوس ...	» أسانذة السكليات ...
٢٤٢	فقيه الازهر ...	» رئاسة التحرير ...

القصائد المتخلفة

لما نشرنا أخبار الاحتفال بالمولد النبوي وعيد جلوس حضرة صاحب
الجلالة الملك بقيت قصائد أرجائها للعدد التالي فاتفق نقاد الورق بقيت هذه
القصائد معدة للطبع فنشرناها في هذا العدد، فجيئها بعد وقتها قضى بها الشيب
الذي ذكرناه آنفا .



مركز توثيق التراث
للعدد الرابع

ص	س	خطاً	صواب
١٨٣	١١	زميلي	ذميلي
١٨٤	٥	الشهد	الشهب



مرکز تحقیقات کاپویر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

فتح مكة

قصده إليها رسول الله على رأس عشرة آلاف مقاتل

وكانت مقاومة المشركين عنها أشبه بالتسليم

كان يخيّل لقارئ السيرة المحمدية أنه سيقراء في هذا الفصل أخبار صراع بين الإسلام والوثنية يشيب لهولها الولدان ، ناهيك أنها بيئة قريش التي تولت زعامة المقاومة للإسلام من يوم ظهوره ، وأن في احتلال المسلمين لها ضياعاً لجميع امتيازاتها التاريخية في سدانة البيت ، وما يتصل بها من المهام الدينية ، فيدهش القارئ حين يرى أن فتح مكة لم يكلف المسلمين أكثر من قتيلين ، ولم يبذل الجاهليون في سبيل الدفاع عنها أكثر من دماء ثمانية وعشرين رجلاً ، وليسوا من قريش ، بل من بني الحارث وبني بكر وبني هذيل كانت استنصرت قريشهم ! هذه ظاهرة لا يدهش منها إلا الذين ليس لهم نصيب من العلم بتحليل الحوادث الاجتماعية ، ومعرفة العوامل التي توجد المذاعة فيها ، والتي تهيئها للانجلال والخذلان . ونحن نسرده للقارئين جملة هذه العوامل ، ليتبينوا أن ما حدث كان منتظراً ، وأن أكبر قوة في الأرض ما كانت لنحى قريشا من المصير الذي آلت إليه :

(أولها) ضعف العاطفة الدينية عند العرب ، فانهم ما كانوا في عهد من عهودهم على شيء كبير منها . ناهيك أنه لم يكن لهم كتاب يقدسونه كما لجميع أهل الملل ، ولم يكن لهم حفظة للدين ، فلذلك كانت وثنياتهم مزججا غير متجانس من أوهام ساذجة ، وكان لكل قبيلة أصنام خاصة لا يمت بعضها إلى بعض بصلة ، كأصنام المصريين واليونانيين والرومانيين القدماء ؛ والشئ الوحيد الذي كان يجمع بينهم هو حج البيت ، وكان لا يهمهم أمره إلى حد الدفاع عنه ، بدليل أن أبرهة عندما اعتزم هدم الكعبة ، اخترق بجنوده بلاد العرب حتى وصل إلى مكة ، وما

كان من أهلها إلا أن تركوها شاغرة واعتصموا بالجبال ، هربا من بطشه ، والذي يترك البيت لأجنبي يهدمه ، يهون عليه أن يتركه لعربي بحفظه ويعظمه .

(ثانيا) تفكك الرابطة الاجتماعية . وأتى لهم ذلك وهم قبائل متفرقة ، وفي حالة تنازع وتناحر دائمين ؛ فالقبيلة إن اجتمعت كلتها للدفاع ، فلا يكون ذلك إلا زيادة عن الأرض التي تمدها بالقوت ، ولم يكن معمول قبائل العرب على الزراعة لفحولة أرضهم ، فاذا استطاعوا إجلاء ماشيتهم التي عليها مدار معيشتهم ، هانت عليهم محلتهم ، وانتقلوا الى محلة أخرى من بلادهم .

(ثالثا) إنحناؤ النبي صلى الله عليه وسلم في القبائل اليهودية ، كبنى قريظة والنضير وأهل خيبر ، وإجلاؤها عن أرضها ، وإدخال من بقي منها في طاعته ، وقد كان رجالها يرحلون الى مكة ويحرضون قريشا على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ويطوفون على أحبياء القبائل فيجمعون كلتها على حرب المسلمين ، فلما بطل كل ذلك بطلت العوامل المحركة لقريش على المقاومة ، فلانت شكيمتها صاغرة .

(رابعها) إسلام كبار قادة الحرب فيها كخالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وأبي سفيان ابن حرب ، وكان دخولهم في الاسلام طواعية من أشد المنشطات لها عن المقاومة .

وقد تبين أن صلح الحديبية ، وهو الصلح الذي عقد بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقب منعه عن العمرة ، رغما عما نازح حوله من سخط الكثيرين عايه ، كان له أثر كبير في تفهم كثير من عقلاء القرشيين للاسلام ، ومبادلتهم الرأي لأمثالهم الذين سبقوهم اليه ، فدخل منهم فيه عدد يذكر . وهذا الامر كان له أثر كبير في كسر رشرة المحافظين على الوثنية .

(خامسها) ضخامة القوة التي صمد بها النبي صلى الله عليه وسلم الى قريش (١) . وهي عشرة آلاف مقاتل ، ولا تستطيع هي تجريد أكثر من خمس هذه القوة إذا استطاعت أن تستثير معها أحلافها من القبائل المجاورة .

والقول بأن قريشا كان يمكنها إهاجة قبائل من غير أحلافها ، مثل هوازن وغيرها ، بعيد عن التحقيق ، لأن هذه القبائل ما كانت لتتنازر لأغراض دينية ، ولو كانت تفعل ذلك لأمكن قريشا ، بمؤازرة خطباء بني اسرائيل ، أن تسوق على المسلمين عشرات كشيخة من الألوف للقضاء على جماعتهم في المدينة ، وهذا ما لم يحصل حتى بعد ما تحلى لتلك القبائل أن أمر المسلمين أخذ في التضخم ، بما يدوخونه من القبائل التي حولهم .

نعم إن بني هوازن جردت على المسلمين بعد فتح مكة ثلاثين ألفا من رجالها وهي من أكبر قبائل العرب ، ولكن لم يكن ذلك لانتفاذ الأصنام ، أو البيت الحرام من أيدي المسلمين ،

(١) صمد اليه معناد قصد اليه . وبعض الجرائد تستعمله بمعنى قارمه وهو خطأ .

ولكن لخشيتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما استتب له الأمر في مكة ، وامتد سلطانه اليها ، يعود فيحاول غزوم في ديارهم ، فأرادوا بما فعلوا أن يدفعوا هذا الخطر عنهم .

هذه هي العوامل التي قضت على قريش بأن تقبل إعطاء الذنية ، وأن تستسلم للمسلمين على الوجه الشائن ، وهو مصداق لقوله تعالى في أول عهد الدعوة الاسلامية : «أم يقولون نحن جميع مفتصرف ، سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» .
تاريخ هذا الفتح :

يعرف قراء هذه السيرة أنه لما اتفق النبي صلى الله عليه وسلم وقريشا على أن لا يعتصر في طامه الذي شخص فيه الى مكة ، وأن يعود فيما يليه ، وسمى هذا الاتفاق بصلح الحديبية ، وشرط فيه أن لا يقاتل أحد الفريقين الآخر مدة أربع سنين ، وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة ، حدث في السنة الثامنة ما أوجب نقض هذه المعاهدة ، وإعلان الحرب على قريش . ذلك أن بني خزاعة التي كانت نازلة بجوار مكة ، كانت قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخلت جارتها بنو بكر في عهد قريش ، وكان بين هاتين القبيلتين ثارات بقيت متناججة في صدرهما الى ما بعد ظهور الاسلام .

فلما وقع صلح الحديبية بين المسلمين وقريش ، وقف رجل من بني بكر يهجو رسول الله على مسمع من رجل من بني خزاعة ، فنهض هذا وضربه ، فهبَّت بنو بكر للنار من بني خزاعة ، وأجمعوا أمرهم على حربهم ، وأعطاهم بنو قريش سرا ، وأمدوهم بالرجال والعناد خفية ، وقتلوا من بني خزاعة أكثر من عشرين رجلا . فما كان من أمر هذه القبيلة الأخيرة إلا أن أرسلت وفدا الى النبي صلى الله عليه وسلم تخبره بما حدث من بكر وقريش .

وأما قريش فانها لما تحققت أن ما حدث يعتبر نقضا للمعاهدة الصلح ، أرسلوا قائدهم أبا سفيان ابن حرب الى المدينة ليجدد العقد ويزيد في مدته . فقصد الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأدى اليه مائدة قريش له ، وهو لا يعلم أن وفد خزاعة سبقه وأخبر الرسول بما كان . فسأل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان : هل حدث شيء يقتضي حضوره ؟ فأجابه نفيًا . فقال له رسول الله : إذن فنحن على مدتنا وصلحنا ، ولم يزد . فأدرك أبو سفيان أنه لم ينجح ، فقصد الى رجالات المسلمين من قريش ، ورجاهم أن يتوسلوا له الى رسول الله في قضاء مائده له ، فلم يلبه منهم أحد ، فرجع الى مكة .

أما رسول الله فانه أمر بتعبئة الجيش ، واستنفر الأعراب النازلين حول المدينة ، ولم يخبر أحدا بما عزم عليه . ولكن أحد أصحابه واسمه حاطب بن أبي بلتعة كان له أقارب بمكة ، فأراد أن يتخذ عند قريش بدا ليدفع عنهم أذاهم ، فكتب الى قريش يخبرهم بحركات النبي صلى الله

عليه وسلم ، وأرسل كتابه مع جارية ، فعمّر عليها المسلمون في روضة خاخ ، ووجدوا معها كتاباً فأخذوه منها وأحضروه الى النبي . ولما قرئ له وعُرف ما فيه ، استدعى كاتبه ، وكان ممن شهد بدرا ، وهي أشهر المواقف الاسلامية . فسأله رسول الله عن السبب الذي دعاه لما فعل ؟ فأجاب : بأنه لم يفعل ذلك كفرا ولا غدرا ، ولكن ليأخذ عند قريش صنعة يحترمونها بسببها أهلها . فقال رسول الله : أما إنه قد صدقكم ، وعفا عنه .

ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم على رأس عشرة آلاف مقاتل في منتصف رمضان ، فلما وصل الى الأبواء لقيه رجلان كانا من أشد أعدائه ، هما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وصهره عبد الله بن أبي أمية شقيق زوجته أم سلمة ، وكانا يريدان الاسلام ، ففرح النبي بهما وقبلهما . ثم ما لبث أن قابل عمه العباس وأهله قاصدين المدينة ، فدعاه ليصحبه الى مكة ، وأمر بأهله فرحلوا الى المدينة .

ولما بلغ سر الظهران ، وكان بلغ قريشا أن النبي صلى الله عليه وسلم زاحف في خميس عرمرم لا تدري وجهته ، أرسلت أبا سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يلتمسون لهم الخبر ، فلما بلغوا سر الظهران عثر بهم جنود من المسلمين فاقْتادوهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى أبو سفيان كثرة عدد المسلمين ، وعظيم تأهبهم ، لأن قلبه للاسلام فأسلم .

ولما شارف المسلمون مكة ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم جيشه قسمين ، ولّى أحدهما خالد بن الوليد وأمره أن يدخلها من كُدَيْ وهو جبل بأسفل مكة على طريق اليمن ، ودخل هو صلى الله عليه وسلم من كَدَاء وهو جبل بأعلى مكة .

فأما خالد فقد قابله رجال من أحلاف قريش وأرادوا منعه ، فحدثت بين الفريقين معركة قتل فيها من المسلمين رجالان ، ومن المشركين ثمانية وعشرون ، وداخلهم الرعب فانهمزوا .

وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد معارضا . وكان راكبا راحلته منحنيا على رحلها تواضعا لله ، حتى تكاد جبهته تمسه ، وجاعلا أسامة بن زيد رديفا له ، زيادة في التواضع ، وكان ذلك في صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان ، وما زال سائرا حتى وصل الى الحجون ، وقد نصبت له هنالك قبة كان فيها أم سلمة وميمونة زوجته ، فاستراح قليلا ، ثم سار والى جانبه أبو بكر ، وهو يقرأ سورة الفتح ، حتى وصل الى البيت الحرام ، فطاف به سبعا واستلم الحجر الأسود بمحجته ، وكان داخل البيت ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنهما بعود في يده وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، وما يبدي الباطل وما يعمد » ، ثم أمر بها فأخرجت من البيت ، وفيها صورة اسماعيل وإبراهيم وفي أيديهما الأزرلام ،

وهي سهام صغيرة كانوا يلقيونها ويستقسمون بها ، أى يعرفون ما قسم لهم مما لم يقسم بوقوعها على وجه منها أو على آخر ، فقال عليه الصلاة والسلام : قاتلهم الله لقد علموا أنهم ما استقسما بها قط !

ثم دخل رسول الله السكبة وكبر في نواحيها ، ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم ، وجلس في المسجد والناس حوله ، والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش ، وقد طالما آذوه واضطهدوه ، واضطروه هو وأصحابه للهجرة ، وقتلوه أعنف قتال وأشنع ، وخانوا عهده ، وحاربوا حلفاءه وأنخنوا فيهم .

في هذا الموطن الذي فيه حميا الفوز تملأ الرءس ، وغرائز الجيلة البشرية تشرئب الى أعلى ما يمكن أن تصل اليه من الأنفة ، وأبهة الغلب تفعم النفوس شعورا بالعزة ، تظهر المبادئ التي يقوم عليها المنتصرون في أروع مظاهرها ، وتتم أفعالهم على حقيقة ما انطوت عليه جوانحهم من السمو الصحيح ، أو الرياء الدنيء لنشر الدعوة .

فإذا تظن أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل بخضومه وقد وقعوا تحت يده ؟ إنه عفا عنهم قائلا لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم نهض صلى الله عليه وسلم وخطب الناس خطبة بين فيها كثيرا من الأحكام الشرعية . ثم التفت اليهم وقرر لهم الأصل الأصيل الذي أقام عليه الاسلام صرح أمة عالمية ، لا تمت الى الروابط الجنسية واللغوية بصلة ، أمة دينها الحق ، ودستورها العلم والعقل ، ورابطتها المساواة والعدل ، وسيرتها المدنية الفاضلة والنبيل ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظيمها بالآباء ، والناس من آدم وآدم من تراب . ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »

وما كاد يتم خطبته حتى أقبل سادات المشركين يبأيعونه على الاسلام ، فكان ممن بأيعه في ذلك اليوم معاوية بن أبي سفيان ، وأبو قحافة والد أبي بكر .

وجاء رجل يرتعد خوفا ، فقال له رسول الله : « هون عليك فاني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

هذه كلمة لو تأملها طالب الدليل القاطع على نبوته ، لكان له منها أقوى حجة ، تفوق في سطوع دلائلها أعظم الخوارق للطبيعة ؛ لأن رجلا يبلغ الى هذه الدرجة من السلطان على الأجساد والقلوب ، مجرد نفسه مختارا من أرفع لقب لا تتناول اليه أرفع الرءوس ، لعلوه عن متناول أبعاد المطامع ، وقد تيسر له سبيله الى حد أن كلمة منه كانت تكفي لحصوله عليه ، إن رجلا يبلغ الى

هذا الحد من التجرد عن الدنيا ، لهو رجل لا يوفيه حقه أى وصف غير وصفه بالنبوة .
وقد أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماء رجال امتازوا بفضاعة عداوتهم له وللمسلمين ،
فهربوا من وجهه ، فقُتِلَ بعضهم وأسلم بعضهم ، منهم عبد الله بن أبي سرح لجأ الى عثمان بن عفان
وطالب اليه أن يستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرض عنه مراراً ثم بايعه . ومنهم
عسكرة بن أبي جهل فانه فر ، وكانت امرأته قد أسامت قبل الفتح ، فأخذت له أماناً من
رسول الله ، ولحقت به واستقدمته فأسلم ، وكانت له مواقف في الاسلام محمودة .

ومنهم هبار بن الأسود ، وقد استتر حتى إذا كان رسول الله بالجعرانة ، وهى موضع بين
مكة والطائف ، جاءه مسلماً وقال له : يا رسول الله هربت منك ، وأردت اللحاق بالآطام ،
ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك ممن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك ، فهذان
الله بك وأنقذنا من الهلكة ، فاصفح الصفح الجليل . فقال له النبي : قد عفوت عنك .

ومنهم الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية ، وقد أجارتهما أم هانئ بنت أبي طالب ،
فأجاز عليه السلام جوارها .

ومنهم صفوان بن أمية فانه ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فذهب ليلقى بنفسه في البحر ،
فجاء ابن عمه عمير بن وهب وقال : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومك ، وقد هرب ليلقى
بنفسه في البحر ، فأمنه فانك قد أمنت الأحرار والأسود . فقال له صلى الله عليه وسلم : أدرك
ابن عمك فهو آمن . فقال عمير فأعطني يا رسول الله علامة . فأعطاه النبي عمامته . فأخذها
عمير حتى إذا لقي صفوان ، قال له : فذاك أبي وأمي قد جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر
الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، وهو ابن عمك ، وعزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملئكه
ملكك . قال صفوان : إني أخافه على نفسي . قال عمير : هو أحلم من ذلك وأكرم ، وأراه
العمامة علامة الامان . فرجع الى رسول الله وقال له : إن هذا يزعم أنك أمنتني . قال : صدق .
قال صفوان : فأمنيتني بالخيار شهرين . قال له النبي : بل أربعة أشهر . ثم أسلم وحسن إسلامه .
ومنهم هند بنت عتبة فاخفت ، ثم جاءت وأسلمت ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامها .
وأما كعب بن زهير بن أبي سلمى ، فلما ضاقت عليه المناوح ، ولم يجد بدا من التسليم ، جاء
المدينة وأسلم ، وأشد رسول الله قصيدة يمدحه بها ، أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول مقيم إثرها ، لم يُفدَ ، مغلول

ثم مضى فيها يصف ما لاقاه من الشدائد في اختفائه :

وقال كل صديق كنت آمله لا الهينك إني عنك مشغول

فقات خلوا سبيلي لأبائكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آله حـدباء محمول
أنبتت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ قرآن فيها موايعظ وتفصيل

فلما انتهى الى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
خلع رسول الله برده وأعطاه إياها إعجابا بشعره .

ومنهم وحشى قاتل حمزة عم النبي ، وقد جاء الى رسول الله مسلما ، فقبل إسلامه .
ومنهم ابنا أبي طهب عتبة ومعتب ، فانهما قدما نفسيهما وأسلما ، فقبل النبي إسلامهما .
بيعة النساء :

لما تمت بيعة الرجال جاءه النساء فبايعنه على أن لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ،
ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين الرسول
فى معروف .

هدم كبار الأصنام :

فى اليوم الخامس بعد الفتح أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ثلاثين رجلا ،
وأمره بهدم هيكل أكبر صنم كان لفريش وهو العزى ، وكان هيكلها ببطان نخلة قريبا من مكة .
وأرسل همرو بن العاص لهدم الصنم الكبير لبني هذيل ، وكان هيكله على بعد ثلاثة أميال
من مكة ، فذهب عمرو اليه وهدمه .

وبعث سعد بن زيد الأشل فى عشرين فارسا لهدم الصنم مناة وكانت لبني كلب وخزاعة ،
وكان هيكلها بالمشلل ، وهو جبل على ساحل البحر الأحمر ، فذهبوا اليها وهدموها .

هذه حوادث كبرى لم يُروَ مثلها لمصلح فى الأرض ، ولا لرسول قبل محمد صلى الله عليه
وسلم فمن شاء دليلا على نبوته فوق هذا ، فلا أدري أى دليل يقتنع به بعده !

يحسن بنا أن نكرر هنا ما سبق لنا أن نوهنا به من قول الفيلسوف الانجليزى الكبير
كارلايل فقد قال فى كتابه (الابطال وديانة الابطال) ما مؤداه :

« ماذا يطلب من رجل يدعى أنه بنىء من دليل على دعواه ، أكبر من أن يبنى بيتا ياوى
اليه الناس . وقد جاء محمد فأدعى أنه نبي ونشر ديننا اتبعه مائتا مليون من النفوس ووجدوا
فيه سعادتهم ، وبقي هذا الدين قائما أكثر من الف ومئتي سنة ؛ فأى دليل يراد منه أن يقيمه
على نبوته بعد هذا ؟ »

محمد فرير ومهرى

النفسية

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم : « إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

هذه السورة مكية على الأصح . وقد جاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن . أخرجه الترمذى .

والمراد أن الأرض تتحرك حركة شديدة ، وذلك عند قيام الساعة حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء .

وفي وقت هذه الزلزلة قولان : أحدهما وهو قول الأكثرين أنها في الدنيا ، وهى من أشراط الساعة ، وهى التى يموت فيها جميع الخلائق . والثانى أنها زلزلة يوم القيامة .

وقوله تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها » اختلف فيه : فمن قال إن الزلزلة تكون في الدنيا قال : أثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والأموال فتلقبها على ظهرها . ويدل على هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول : فى هذا قتلت ، ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحى ، ويجىء السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » . أخرجه مسلم . وأفلاذ الكبد جمع فلذة ، شبه ما يخرج من باطنها بقطع الكبد واستعمار النقيء للإخراج . ومن قال إن الزلزلة تكون يوم القيامة قال : أثقالها الموتى ، فتخرجهم إلى ظهرها .

« وقال الإنسان ما لها ، أى ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها ؟ وفى الإنسان وجهان . أحدهما أنه اسم جنس يعنى المسلم والكافر ، وهذا على رأى من جعل الزلزلة من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك ؛ والثانى أنه الكافر خاصة لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها فإذا وقعت سأل عنها .

« يومئذ تحدث أخبارها » فيقول الإنسان ما لها . والمعنى أن الأرض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر ، فتشكو العاصى وتشهد عليه ، وتشكر الطائع وتشهد له . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « يومئذ تحدث

أخبارها . فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها ، تقول عمل كذا يوم كذا وكذا كذا ، فهذه أخبارها . أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

« بأن ربك أوحى لها » أى أمرها بالكلام ، وأذن لها أن تنبئ بكل ما عمل عليها . قال ابن عباس : أوحى إليها ، قيل إن الله تعالى يخلق فى الأرض الحياة والعقل والنطق حتى تنبئ بكل ما عمله الانسان .

قوله تعالى « يومئذ يصدر الناس » أى عن موقف الحساب بعد العرض « أشتاتا » أى متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار « ليروا أعمالهم » . قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم . وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التى فيها الخير والشر فيمروا ما يستحقونه من الثواب والعقاب .

أما قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة » ، أى وزن نملة صغيرة ، « خيرا يره » ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » قال ابن عباس : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة . وقال محمد بن كعب القرظى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . وقيل نزلت هذه الآية فى رجلين ، وذلك أنه لما نزلت « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتما وأسيرا » وكان أحدهما يأتىه السائل فيستقل أن يطعمه الحرمة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه إنما يؤجر على ما نعطيهم ونحن نجبه ، وكان الآخر يتهاون فى الذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا إنهم ، فأنزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكفر ، ويحذرهم من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكبر ، وبين لهم أن الذنب الصغير يكون فى عين صاحبه مثل الجبل العظيم يوم القيامة . قال ابن مسعود : أحكم آية فى القرآن « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وقد تصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة غنم وقال فيها مئاقيل كثيرة . قلت إنما كان غرضها تعليم الغير والافهام من كرماء الصحابة رضى الله عنهم . وقال الربيع بن خيثم : مر رجل بالحسن وهو يقرأ السورة فلما بلغ آخرها قال : حسبي قد انتهت الموعظة . وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه : لو لم ينزل على الناس إلا سورة العصر لكففتهم . ونحن نقول أيضا : لو لم ينزل على الناس إلا هذه الآية لكففتهم .

أسأل الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا بمنه وكرمه

بوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

الفلسفة الإسلامية في المغرب

— ١١ —

تتمة الحديث عن الرشدية في البيئة اللاتينية

نجح « جايتانودي تيين » في رفع ابن رشد حتى صار بفضل دعايته الحكيم الأول الذي لا ينزع في « بادو » و « بولوني » وأصبح أهم ما يشغل أساتذة الفلسفة في جامعتي هاتين المدينتين هو شرح الشرح الكبير لابن رشد .

وفي سنة ١٤٨٠ ألفت كاساندرافيدليه - وهي إحدى شهيرات عالمات مدينة البندقية - رسالة أيدت فيها تأييدا علميا بعض النظريات الرشدية فنالت بها جائزة الفلسفة الكبرى .

غير أن كل أولئك العلماء إلى هذا العهد لم يكادوا يتعدون حدود الشرح والتعليق ، ولكن لم يكبد القرن السادس عشر يحل حتى سرت في جامعة « بادو » روح الابتداء ، وكان « بومبنازي » أحد ممثلي هذا العصر الابتداعي الجديد تمثيلا صادقا ظهرت آياته في مؤلفاته ومحاضراته التي يلح الباحث في كل صفحة من صفحاتها مجهودا محترما للتخلص من أغلال التقليد الذي رزح القدماء تحت نيره زمنا طويلا .

ولما كانت مشكلة خلود النفس في ذلك العهد أهم المشاكل الفلسفية وأعوصها ، فقد كان طلاب الجامعة إذا أرادوا أن يسبروا غور الاستاذ الجديد يصيحون به في المحاضرة الأولى هاتفين : نريد مشكلة النفس .

ولما كان « بومبنازي » يجحد خلود النفس ، وكان يعلم أن ابن رشد قد قرر أن العقل الإنساني يفقد بعد الموت شخصيته ويعود إلى الإله ، وبالتالي هو لا يفنى ، فقد استعان « بومبنازي » عليه بنصوص أرسطو وأقوال شراحه ولا سيما الاسكندر الأفروديزي الذي جحد خلود النفس ججودا صريحا . وبعمونة هذه القوى استطاع أن يهاجم المذهب الرشدي في نظرتي وحدة النفس وخلودها .

لهذا يعترض الأستاذ رينان على وضع « بومبنازي » بين الرشديين فيقول ما مخصصه :

« يجب أن نفهم معنى الانتساب إلى ابن رشد ، فإذا كان يصح أن يدعى مفكرو النهضة القلقون الثأرون ضد الحجر والطغيان الدينيين رشديين رغم أنهم كانوا ماديين جاحدين ، وكانوا يخنفون خلف ستار الشرح ، ليصلوا إلى تقرير آرائهم ، فإن بومبنازي يكون رشديا . ولكن إذا كان معنى هذه الكلمة أنه من أنصار وحدة العقل ، فإنه ليس رشديا البتة ، بل

إنه على الطرف المناقض الرشدية في هذا الرأي . وأكثر من ذلك أنه كان يرتاب في أن ابن رشد نظر إلى هذه المشكلة نظرة جدية وفهمها كما ينبغي ، [١] .

وفصارى القول أن بومبنازى ظل طول حياته يحارب المذهب الرشدى في شخصيتى . « نيفوس » و « كيلينى » اللذين كانا في طليعة المدافعين عن المذهب الرشدى في القرن السادس عشر .

وفي الواقع أن الباباليون العاشر حين رأى حرية الفسك قد بدأت تفلق الجماهير ، وكل إلى « نيفوس الرشدى » نقض آراء بومبنازى . وبهذا أصبحت الرشدية حاملة لواء الدفاع عن « الكاتوليكية » ، وليس هذا غريبا ، إذ من يوازن بين الرشدية والآراء الجديدة التى أعلنها بومبنازى — لاسيما فيما يتعلق بخلود النفس — يتضح له أن الرشدية أقرب كثيرا إلى التعاليم الدينية من البومبنازية .

غير أن بومبنازى كان له أنصار وأصدقاء وحماة حتى في بلاط البابا نفسه ، وهذا هو السر في نجاحه من الإحراق ، ولكن لما لم يكن ذوو السلطة من رجال الدين يستطيعون مجابهة الشعب بحماية أحد الزنادقة ، فقد جعلوا يدينونه في الظاهر وينقذونه من وراء ستار ، بل إن البابا والسكردينال « بامبو » وأشياعهما كانوا يشجعونه في الخفاء على مهاجمة الرشدية ويدفعون المال في الظاهر إلى « نيفوس » لينقض آراءه .

وفي سنة ١٥١٢ أذات قنصل « لاتران » مدرسة بادو ، فلم يفت ذلك من عزم « بومبنازى » بل زاده عنفا وهجوما على الآراء الرشدية والتعاليم الدينية ، وقد ظل كذلك حتى صدر في سنة ١٥١٨ أمر يعلن أنه نائر على قنصل لاتران . وفي ذلك الوقت نفسه قدم « ريمون لول » التماسا إلى البابا يطالب فيه إحراقه ، ولكن البابا كان أذكى وأحب إلى العلم من أن يقوم بمثل هذا العمل الوحشى . وكل ما فعله في هذا الصدد هو أنه أمر « نيفوس » بأن يكتب نقضا جديدا لمؤلفات بومبنازى الأخيرة .

هذا هو موجز خصومة « بومبنازى » مع نيفوس . أما خصومته مع « كيلينى » فقد كان لها مظهران أحدهما كان الحكم فيه للسلطات الدينية ، وكان المنتصر فيه دائما « كيلينى » ، وثانيهما كانت الكلمة الفاصلة فيه للخاصة والمتقنين ، وكان النصر فيه حليف بومبنازى على طول الخط .

ولما اشتعل أوار الحرب في ذلك المهد بين فرنسا وإيطاليا ، اضطر هذان الاستاذان إلى مغادرة بادو إلى بولونى في سنة ١٥٠٩ وهناك استؤنف بينهما النضال العلمى إلى أن توفيا حوالى سنة ١٥٢٠ .

خلا الجو بعد ذلك للفلسفة الرشدية فانفردت بالسلطان في جامعة بادو ، ولكن بعد أن أزال منها مهرة الأسانذة أكثر ما يصطدم مع التعاليم المسيحية ، فعادت حركة الترجمة في كتب ابن رشد إلى النشاط من جديد ، ولكنها لم تكن أقل رداءة من الترجمة القديمة لأن أصلها العبرى نفسه كان سيئا .

غير أن هذا السيادة الرشدية المغالية كانت قد أحدثت من قبل رد فعل عنيفا بين المجددين ، فنهض أنصار الثقافة الهيلينية الذين كانوا يتعاملون على معاصريهم بأنهم هم وحدهم العلماء الحقيقيون بالهيلينية الصحيحة ، وأعلنوا احتقارهم لتلك الهيلينية الزائفة المشوهة الآتية عن طريق العرب ، وذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فصرحوا بأن آراء ابن رشد غير قابلة للمعقولية وغير جذيرة بالعقل المثقف . وبالإيجاز : كانت غايتهم أن يضعوا كل تراجم القرون الوسطى وشرائحها في الدرك الأسفل من الإهانة والازدراء .

وفي ٤ ابريل سنة ١٤٩٧ صعد « نيقولا توماس » للمرة الأولى على المنصة ليدرس أرسطو باللغة الإغريقية . وعلى أثر ذلك احتدمت معركة حامية الوطيس بين الأرسطوطاليسية العربية من خلال ابن رشد ، والأرسطوطاليسية الإغريقية من خلال مؤلفات أرسطو نفسه وتلاميذه وشرائحهم من الإغريق . وقد ساعد على تفاقم هذه المعركة اتجاه العقول في ذلك الحين إلى أفلاطون ، إذ أن دراسة هذا الأخير في كتبه أبانت للمثقفين أن العرب كثيرا ما كانوا يخلطون بين آراء هذين الحكيمين مخدوعين بالتلفيق الاسكندراني ، وقد بدأت هذه النهضة الأفلاطونية في مدينة فلورنسا التي هامت بآراء أفلاطون في كل نواحي حياتها هيأها جعل العلماء يطلقون عليها اسم « المدينة الروحية » .

« كان بيك دى لا ميراندول » صورة أمينة لتلك المعارك والمناضلات ، ففي كتبه يعثر الباحث على الأفلاطونية والأرسطوطاليسية والرشدية وبقية النزعات المختلفة والمذاهب المتباينة المعروفة إذ ذك مفصلا تفصيلا مختلف باختلاف قيمها وحفظوها في ذلك الحين . وأكثر من ذلك أنه كان يتباهى بأنه يستطيع أن ينصر أية فكرة كانت في جميع المشاكل التي يمكن الإنسانية أن تعرفها . وقد أضاف أحد الخطباء فيما بعد (ولعله فولتير) إلى هذه الجملة ليسخر من صاحبها قوله : بل ومشاكل عديدة أخرى . وقد صارت هذه الجملة الساخرة المضافة إلى جملة « بيك دى لا ميراندول » مثلا يضرب للسخرية من التباهي ، ولكن هذه السخرية لم تكن عادلة من جانب ذلك الساخر ، فقد كان « بيك دى لا ميراندول » دائرة معارف كاملة . وقد أحصى جميع المشاكل التي دارت أو يمكن أن تدور حولها المجادلات الإنسانية في أسئلة مشكلة وأعلن مقدرته على حلها بالحجج المنطقية .

انتهت هذه المناضلات بانتصار الهيلينية الصحيحة في جميع جامعات أوروبا ومدارسها

وانهزام الرشدية فيها ما عدا جامعة بادو ، فقد بقي ابن رشد فيها مستمتعا بشيء من الاحترام وإن كانت سيادته الاولى قد انمحت . فمثلا « زارابيلا » — وهو أستاذ الفلسفة في جامعة بادو من سنة ١٥٦٤ إلى سنة ١٥٨٩ — كان يعتمد في فهم الفصول الغامضة من كتب أرسطو على شروح ابن رشد إلا فيما يتعلق بنظرية خلود النفس ، فقد كان يتبع فيها بومبنازي ، وقد كان « ألبيرتي » و « كريمونيني » ينسجان على منوال « زارابيلا » فيدعوان إلى نظريات ابن رشد ما خلا نظرية خلود النفس .

وفي سنة ١٦١٩ أمرت السلطات الدينية أساتذة جامعة بادو بنقض كل ما يدرسونه فيها من ضلالات أرسطو ، فلما وصل هذا الأمر إلى مسمع كريمونيني احتج عليه وأجاب بلهجة حادة ملؤها الكرامة والعظمة قائلا : إنه جاء إلى هذه الجامعة ليبسط آراء أرسطو ويشرحها ، فإذا اتهم باللا دينية استطاع أن يدافع عن نفسه ، وهذا هو كل ما يمكنه عمله .

لهذا يعتبر كريمونيني آخر ممثلي الفلسفة الرشدية في جامعة بادو . وكانت وفاته في سنة ١٦٣١ بمثابة وضع الحد الأخير لدراسة الفلسفة العربية في الغرب (١) .

هذا هو مجمل تاريخ الثورة العقلية التي أحدثها ابن رشد في الغرب ، وقد بان منه أن أهمية هذا الفيلسوف قد بلغت في أوروبا حدا لم تبلغ عشر معشاره في البيئات الإسلامية ، إذ أنه ظل بطل الممارك العلمية التي اشتمل أوارها في أواخر القرون الوسطى في أوروبا حتى نهايتها في العصر الحديث ، فكانت المحاورات تدور حول كتبه ، والمؤلفات تكتب لشرح مذهبه ، والمحاضرات تلقى في تفسير آرائه . وكان فريق يصفه بأنه منير العقول ، وآخر يرميه بأنه مبدع الشك أو منكر الديانات أو هادم الحق كما أبنا ، ولكن جميع علماء تلك العصور — إذا استثنينا منهم واحدا أو اثنين — كانوا متفقين على أنه أقدر شراح أرسطو على الإطلاق . ولهذا كان خصومه أنفسهم من رجال الدين المتعصبين لا يستطيعون الامتناع عن إجلاله .

الدكتور محمد غمرب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

[١] انظر كتاب « ابن رشد والمدرسة الرشدية » لربنان صفحة ٣٢٥ إلى صفحة ٣٢٢ .

الفلسفة في الشرق

— ٥ —

الباب الثاني

مصر

بدأ الأستاذ « ماسون أورسيل » المؤلف هذا الفصل بقوله : إنه ليس من شأننا هنا أن نلخص ولو تلخيصاً موجزاً تاريخ مصر القديمة ، ولكن يجب علينا أن نبين مظاهره وتطوراته التي أثرت في تكوين الفكر الاغريقي .

من الأمور التي ظلت مجهولة طويلاً أن هذا التأثير تم بتوسط « إيجيه » القديمة . وعند ما انتقل أثر « كريت » إلى بلاد اليونان الداخلية في خلال النصف الأول من الألف الثاني ق . م أدخل معه ثمرات تفكير دلتنا النيل إذ كانت جزيرة « الكات » متصلة اتصالاً وثيقاً بمصر منذ الألف الثالث ق . م . ذلك بأنه لم يكن للمصريين أسطول ، فاضطروا للتجاء إلى الفينيقيين ينتفعون بمراكبهم في صادراتهم ، كما التجأوا إلى الكريتيين من قبل ؛ فكان من هذا أن تأثر الكريتيون بالثقافة المصرية ، ومن آيات هذا التأثير خطهم المكون إلى حد كبير من حروف هيرغليفية ؛ ولا غرابة إذاً إن رأينا في فن العمارة الاغريقي بعض النماذج الافريقية كاستعمال الأعمدة وتزيين رؤوسها بالنقوش وجعل مقدماتها على شكل مثلثات .

هذا ، ومما لا ريب فيه أن حضارة مصر أقدم من حضارة أى بلد آخر من حوض البحر الابيض المتوسط . فبذعام ٤٢٤١ ق . م شرع في هذا البلد (مصر) في إصلاح التقويم ، وهو أمر يدل على سبق التجارب والتفكير لعدة قرون خلت . وفي عهد الاسرات الأولى — أى في نهاية الألف الرابع ق . م — بلغت طرق العالم الفنية شأواً جديراً بالاعجاب . وليس من الممكن أن نتتبع تاريخ التفكير هنا في كل نواحيه ، لهذا يكون من الخير إذا أردنا صورة واضحة عن التفكير الفلسفي في مصر أن نستخلص ذلك من تاريخ العقائد الدينية ، وبخاصة وهي أقل إظلاماً .

كان الأساس الثابت للدين في حالته الأولى (الفطرية) هو — على ما نعتقد — تقسيم البلاد إلى مقاطعات تحكمها معبودات ترمز إلى القبائل التي كانت من الرحل ثم استقرت ، لكنه رغم هذه التجزئة كان النيل والشمس موضع إجلال الجميع ، كما كان كلما حاولت إحدى المقاطعات

أن تفرض سيادتها السياسية على غيرها يرتفع شأن الإله الخاص بها ويتسع نفوذه . وهكذا . من الناحية التاريخية ، كان هناك نوعان من الآلهة : الآلهة أو المعبودات المحلية كالحبوانات والأشجار والجبال ، والآلهة الكونيون كالسما والارض والكواكب والنيل .

وفي عهد المملكة القديمة (الأسرة الثالثة إلى الأسرة الثانية أى من عام ٢٨٩٥ إلى عام ٢٣٦٠ ق . م) كانت الدولة موحدة ومركزة في شخص فرعونها ، إذ كان هو رب السلطة الدينية والزمنية ، والمالك الوحيد للأرض ، والعاقل الذى هو مصدر حياة الناس والآلهة ، ولهذا كان الشعب بأسره يعمل من أجله ويضحى في سبيله حتى بالحياة . لقد كان من رأيهم هذا في فرعون أن كانوا يمتقدون أن لكل إنسان جسداً وقلبا ، وفرعون وحده روحا خالدة لا ينال منها الزمن ، ومن هنا كانت الأهرامات التى بنيت أولا لضمان الدوام والخلود له .

لكن هذا الفهم القامى لم يتحمل الصدمات الذى هزت المجتمع كله في المدة من عام ٢٣٦٠ إلى عام ٢١٦٠ ق . م ؛ فقد اعتبروا من الظلم البين أن يكون الخلاص الروحى ميزة مقصورة على عظيم ولو كان فرعون رئيس الكهنة ، وأن منح فرعون مثل هذه الميزة إلى عظماء رجاله وخدمهم يعد أيضا ظلما . ولهذا طلب أقل الفلاحين شأنا امتياز الحياة الخالدة ، وكان لهم أخيرا ما طلبوه في مقابل نفقات محدودة ، وهكذا أخذ الدين يسير في طريق الديمقراطية . وما جاءت المملكة الوسطى (٢١٦٠ - ١٦٦٠ ق . م) حتى كانت الشعائر الدينية مفهومة وفي مقدور كل فرد من أفراد الشعب ، بمد أن كانت سرية خاصة ببطقة من الكهنة .

وقد كانت عقيدة القانون أو الحق « Le Drait » الإلهى مؤسسة لصالح المملكة المنفيسية بمعرفة كهنة هيليو بوليس من عبدة « رع » أى الشمس ؛ الذين اعتبروا فرعون متحدا بالشمس اتحادا جوهريا ، وإن كان مما يأمون له أن فرعون يموت بعكس الشمس التى استطاعت أن تتغلب على هذا النقص .

تكلم المؤلف بعد هذا عن أسطورة أوزوريس إله الخير وزوجته إزيس وأخيه سيت إله القمر ، وعن المملكة الطيبية (١٥٨٠ - ١١٠٠ ق م) وانتصارها على الفوضى والاضططاط الخلقى ، وبلوغ طيبة الأوج حتى صارت عاصمة العالم ؛ وعن ثورة اخناتون الدينية . ثم انتهى إلى القول بأنه ابتداء من القرن الحادى عشر بدأ نفوذ الفراعنة يجتاز الحنة بعد الحنة ؛ فقد انسحبت مصر من الفرات وسوريا ، ووقعت في أيدي الاشوريين ، ثم القديس ، ثم الاسكندر ، وأخيرا الرومان عام ٣٠ ق م . وحلت اللغة والتقاليد الإغريقية محل لغة البلاد الأصلية وتقاليدها ؛ وكان هذا نوطئة لحلول الكتابة العربية محل الكتابة اليونانية . لهذا لا يكون مبالغة القول بأنه ما من أرض في العالم نالها من الاضطراب العميق ما نال مصر التى حرمت من ملوكها الوطنيين ، وصارت بعد الفتح المقدونى مركزا للحضارات الانسانية

وللتأثيرات الأفريقية والأوربية والآسيوية ، حتى إن تراث مصر الفكرى الخاص لا يعد إلا جزءا من التراث الواسع الذى كان نحر الاسكندرية فى ذلك الزمن الغابر .

ما أثمرته اليونان عن مصر :

فى العلم :

بدأ الأستاذ « ماسون أورسيل » بالكلام عما أخذته اليونان عن مصر فى الناحية العلمية أولا ، ثم فى ناحية الدين والفلسفة ثانيا ؛ فذكر أن اليونان أخذت عن مصر الهندسة التى تعد النموذج الاصلى للمعرفة حسب مذهب إفلاطون ، والحساب والفلك ، ونظرية العناصر الأربعة فى الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسى . كل هذا — وغيره كثير فى باب العلم — أخذته اليونان عن قدماء المصريين ، بواسطة من زاروا مصر وأقاموا فيها طويلا مثل تاليس وفيثاغورس الذى يروى أنه أقام اثنين وعشرين عاما فى المعابد المصرية . ولا يغيب عن البال أن هذا الاتصال ، الذى بدأ بالتجارة والسياحة وفتح بابا للتفكير الاغريق ، قد تلاه عصر تعاون بين اليونان ومصر فى موطن العلم الذى لا نظير له فى العالم ، وهو الاسكندرية التى نجحت فى جمع الشرق بالغرب .

فى الدين والفلسفة :

ولو أن الدين المصرى كان صعب الفهم والاستيعاب ، بالنسبة الى كثير من الشعوب التى اعتبرته لمحات خاصة بعلم الكون ، فإن اليونان قد اعتبروه تقاليد كلها حقائق . ويستدل لهذا باهتمام الفلسفة اليونانية القديمة بالمطابقات والمقارنات بين الآلهة الاغريقية اللاتينية وآلهة طيبة أو منفيس . بيد أن الأمر الذى يؤثر كثيرا فى الأمم الأجنبية من التفكير الدينى المصرى لم يكن تلك الآلهة المحلية التى على شكل حيوانات ، ولا الآلهة السماوية والارضية التى كان فى سائر الأديان ما يعادها ، بل هذا الأمر هو ما كان معروفا عن العبادات المنفيسية أو الطيبية من قوة لمقاومة الموت باتباع سلوك شخصى خاص لنيل الخلود ومعالجة الجسم معالجة خاصة لحفظه من البلى .

تلك الشعائر أو الطقوس (Les rites) الخاصة ، التى لم تحصل إلا اتصالا صوريا بدين الشمس ذى الحكم الفردى ، قد شهدت بوجود بعض العلاقات التى قد يصعب تحديدها بالعبادات (Les cultes) السورية الأفروجية البابلية . فأوزيريس مصر ، مثل أئيس أفروجيا وأرونيس سوريا ، قد مزق إربا ثم أعيد حيا ، وحزن إزيس على زوجها أوزيريس وإخلاصها وتفانيها فى سبيل إحيائه يذكران بأقوال وأعمال آلهة السماء « أشتارتيه » وآلهة الأرض « سيبيل » .

حياة رجال الإسلام

عثمان بن عفان

— ١٥٣ —

نوافذ الأحداث

إذا غلبت الأهواء على مجتمع من المجتمعات ، واستحكمت العصبية المذهبية في تفكيره ، واستولت الأغراض السياسية على نوازه ، وقادته الثورات الجمهورية بزمامها ، وسيطرت عليه الانقلابات الاجتماعية ، بطل حكم العقل المتزن ، ووهنت العقائد الدينية ، وضعف الوازع الإلهي في النفوس ، وانقلبت محاسن الأمور إلى أسواء ، واضطربت موازين الحياة ، واختلطت الحقائق بالباطيل ، ولونت الوقائع بالأساطير ، وعمى التاريخ ، وانزوى أنصار الحق يهجمون في ظل السكينة حتى يثوب الناس إلى رشدهم ، وتستفيق من سكرتها عقولهم ، ويستعدون لسماع صوت الحق وقبول هدايته ؛ هنالك تستيقظ حواس التاريخ وينظر إلى ما حمل من أثقال الماضي المضطرب نظر الحائر الدهش ، وأنى له أن يتخلص منها وقد سودت من صفحاته معظمها ؟ فليحمل في ثناياها من الحقائق ما يكفل للباحث البعيد عن المؤثرات السلامة من التورط فيما تورط فيه القصاصون من رواة السير والتاريخ ، ويكفل له الوقوف على الوقائع في صورتها الصحيحة ؛ وقد كان للتاريخ الإسلامي في مرحلة الفتنة العثمانية وما تبعها من ذلك كله نصيب انتهى به إلى هذه الصورة المدونة في كتبه ، وفي ثناياها لمع من نور الهداية يهتدي بها السارى في أيل هذا التاريخ .

وقد كانت شرعتنا في كتابة ما كتبنا من سيرة عثمان رضي الله عنه أن نلجس الحقائق واستخرجها من مطاوي الروايات المتكاثرة المختلفة على نفسها حتى أتينا على أمهات الشبه والمآخذ التي تعلق بها المنحرفون على عثمان رضي الله عنه ، وكشفنا عن وجه الحق فيها ، ولم يدر بخلدنا أن يعتمد المنحرفون إلى فرائد عثمان رضي الله عنه في التاريخ الإسلامي ، وأحسن محاسن رجال الإسلام ، وأفضل أعمال الراشدين ، وأبقى أثر إسلامي وأنفعه وأعوده على الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وينظموها في سلك المعاييب والمآخذ ، ولكنها الأهواء تعمى البصائر ، وتفسد التفكير ؛ وإلا فأى عقل سليم يفهم أن جمع القرآن الكريم ، وتوحيد المصاحف ، واجتماع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها على نص موحد في دستورها المسيطر

وللتأثيرات الأفريقية والأوربية والآسيوية ، حتى إن تراث مصر الفكرى الخاص لا يعد إلا جزءا من التراث الواسع الذى كان نحر الاسكندرية فى ذلك الزمن الغابر .

ما أهنئ اليونان عمة مصر :

فى العلم :

بدأ الأستاذ « ماسون أورسيل » بالكلام عما أخذته اليونان عن مصر فى الناحية العلمية أولا ، ثم فى ناحية الدين والفلسفة ثانيا ؛ فذكر أن اليونان أخذت عن مصر الهندسة التى تعد النموذج الاصلى للمعرفة حسب مذهب إفلاطون ، والحساب والفلك ، ونظرية العناصر الأربعة فى الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسى . كل هذا — وغيره كثير فى باب العلم — أخذته اليونان عن قدماء المصريين ، بواسطة من زاروا مصر وأقاموا فيها طويلا مثل تاليس وفيثاغورس الذى يروى أنه أقام اثنين وعشرين عاما فى المعابد المصرية . ولا يغيب عن البال أن هذا الاتصال ، الذى بدأ بالتجارة والسياحة وفتح بابا للتفكير الاغريقى ، قد تلاه عصر تعاون بين اليونان ومصر فى موطن العلم الذى لا نظير له فى العالم ، وهو الاسكندرية التى مجتعت فى جمع الشرق بالغرب .

فى الدين والفلسفة :

ولو أن الدين المصرى كان صعب الفهم والاستيعاب ، بالنسبة الى كثير من الشعوب التى اعتبرته لمحات خاصة بعلم الكون ، فإن اليونان قد اعتبروه تقاليد كلها حقائق . ويستدل لهذا باهتمام الفلسفة اليونانية القديمة بالمطابقات والمقارنات بين الآلهة الاغريقية اللاتينية وآلهة طيبة أو منفيس . بيد أن الأمر الذى يؤثر كثيرا فى الأمم الأجنبية من التفكير الدينى المصرى لم يكن تلك الآلهة المحلية التى على شكل حيوانات ، ولا الآلهة السماوية والارضية التى كان فى سائر الأديان ما يعادها ، بل هذا الأمر هو ما كان معروفا عن العبادات المنفيسية أو الطيبية من قوة لمقاومة الموت باتباع سلوك شخصى خاص لنيل الخلود ومعالجة الجسم معالجة خاصة لحفظه من البلى .

تلك الشعائر أو الطقوس (Les rits) الخاصة ، التى لم تنصل إلا اتصالا صوريا بدين الشمس ذى الحكم الفردى ، قد شهدت بوجود بعض العلاقات التى قد يصعب تحديدها بالعبادات (Les cultes) السورية الافروجية البابلية . فأوزيريس مصر ، مثل أتيس افروجيا وأرونيس سوريا ، قد مرق إربا ثم أعيد حيا ، وحزن إزيس على زوجها أوزيريس وإخلاصها وتفانيها فى سبيل إحيائه يذكران بأقوال وأعمال آلهة السماء « أشتار تيه » وآلهة الأرض « سيبييل » .

حياة رجال الإسلام

عثمان بن عفان

— ١٥٣ —

نوافذ الأحداث

إذا غلبت الأهواء على مجتمع من المجتمعات ، واستحكمت العصبية المذهبية في تفكيره ، واستولت الأغراض السياسية على نوازه ، وقادته الثورات الجمهورية بزمامها ، وسيطرت عليه الانقلابات الاجتماعية ، بطل حكم العقل المتزن ، ووهنت العقائد الدينية ، وضعف الوازع الإلهي في النفوس ، وانقلبت محاسن الأمور إلى أسواء ، واضطربت موازين الحياة ، واختلطت الحقائق بالباطيل ، ولونت الوقائع بالأساطير ، وعمى التاريخ ، وانزوى أنصار الحق يهجمون في ظل السكينة حتى يثوب الناس إلى رشدهم ، وتستفيق من سكرتها عقولهم ، ويستعدون لسماع صوت الحق وقبول هدايته ؛ هنالك تستيقظ حواس التاريخ وينظر إلى ما حمل من أثقال الماضي المضطرب نظر الحائر الدهش ، وأنى له أن يتخلص منها وقد سودت من صفحاته معظمها ؟ فليحمل في ثناياها من الحقائق ما يكفل للباحث البعيد عن المؤثرات السلامة من التورط فيما تورط فيه القصاصون من رواة السير والتاريخ ، ويكفل له الوقوف على الوقائع في صورتها الصحيحة ؛ وقد كان للتاريخ الإسلامي في مرحلة الفتنة العثمانية وما تبعها من ذلك كله نصيب انتهى به إلى هذه الصورة المدونة في كتبه ، وفي ثناياها لمع من نور الهداية يهتدي بها السارى في أيل هذا التاريخ .

وقد كانت شرعتنا في كتابة ما كتبنا من سيرة عثمان رضي الله عنه أن نلجس الحقائق واستخرجها من مطاوي الروايات المتكاثرة المختلفة على نفسها حتى أتينا على أمهات الشبه والمآخذ التي تعلق بها المنحرفون على عثمان رضي الله عنه ، وكشفنا عن وجه الحق فيها ، ولم يدر بخلدنا أن يعتمد المنحرفون إلى فرائد عثمان رضي الله عنه في التاريخ الإسلامي ، وأحسن محاسن رجال الإسلام ، وأفضل أعمال الراشدين ، وأبقى أثر إسلامي وأنفعه وأعوده على الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وينظموها في سلك المعاييب والمآخذ ، ولكنها الأهواء تعمى البصائر ، وتفسد التفكير ؛ وإلا فأى عقل سليم يفهم أن جمع القرآن الكريم ، وتوحيد المصاحف ، واجتماع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها على نص موحد في دستورها المسيطر

على حياتها - عيب من العيوب التي تعد على الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه ويكون دطامة لشر انقلاب عرفه المسلمون ؟ إى والله ! إنه لكذلك صنع المنحرفون ، وقالوا فيما أخذوه على ذى النورين - وبئس ما قالوا - إنه أساء فأحرق مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف أبى ، وجمع الناس على مصحف زيد بن ثابت .

وقصة جمع القرآن وتوحيد المصاحف ، تحتاج الى شىء من البسط والبيان لتبدو كما أرادها الله تعالى أعظم منقبة لعثمان رضى الله عنه ؛ وإذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول مجدد للإسلام على الإطلاق بأعماله الفذة وموقفه الخالد فى أحداث الردة ، فإن ذا النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه أول مصلح فى الإسلام قلده الأمانة الإسلامية أعظم منة لا تزال فى عنق كل فرد من أفرادها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها بجمعه القرآن الكريم وتوحيده المصاحف ، واجتماع كلمة المسلمين فى أقطار الأرض على نص موحد فى دستورهم المهيمن على أنحاء حياتهم ما تعاور الليل والنهار وكرت السنين وصرت الأحقاب .

روى البخارى عن أنس « أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق ، فأفرع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل الى حفصة : أن أرسلى إلينا المصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى صحيفة أو مصحف أن يحرق . »

ويؤخذ من هذا الحديث أمور :

(أولها) أن السبب الحامل لعثمان رضى الله عنه على جمع القرآن الكريم مع أنه كان مجموعا مرتبا بين دفتيه إنما هو اختلاف قراء المسلمين فى القراءة اختلافا أوشك أن يؤدى الى أعظم فتنة ، حتى إن بعضهم كان يقول لغيره : إن قراءتى خير من قراءتك ، فأفرع ذلك حذيفة ابن اليمان ، فنبه الخليفة الراشد وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن يختلفوا ويستشري بينهم هذا الاختلاف فينقاهم الأمر وأعظم البلية ، ويمس جوهر القرآن ، كالذى وقع فى اختلاف اليهود والنصارى حتى أصبحت نسخ كتابهم متعددة متضاربة يرد بعضها بعضا ، وينقص بعضها بعضا ، وتمسك كل فريق بما فى يده ، وجهد أن يؤيده بالتأويل والنحريف والزيادة والنقص حتى طم الشر على الخلف منهم فلم يقدرُوا على تدارك ما فات أسلافهم .

(ثانيها) أن الحديث قاطع في أن القرآن الكريم كان مجموعاً في مصحف اتفقت عليه كلمة الأمة كما تلقته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك المصحف (الرسمي) ظل في رعاية الخليفة الأول ثم انتقل إلى رعاية الخليفة الثاني ، ثم إلى أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها ، وأن عثمان رضي الله عنه اعتمد في جمعه على هذا المصحف وعنه نقل ، وأنه أمر أربعة من أشهر القراء إتقاناً لحفظ القرآن ووعياً لمروفته وقراءته ، وفهماً لإعرابه ولغائه ، ثلاثة قرشيين ، وواحداً أنصاريًا وهو زيد بن ثابت صاحب الصديق والفاروق في جمع المصحف الإمام الذي عنه أخذ عثمان ، روى البخاري عن زيد بن ثابت قال : « أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن أجمله ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ! قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبو بكر : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتبعت القرآن أجمله من العصب والخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة النبوة مع أبي خزيمة الأنصاري ؛ لم أجدها مع غيره (لقد جاءكم رسول) حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وهذا المصحف الذي وقع عليه الإجماع القطعي هو الذي اعتمد عليه عثمان رضي الله عنه ، كما هو صريح في حديث البخاري السابق الذي جاء فيه « فأرسل إلى حفصة أن أرسل إلينا المصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان » . وواضح من هذا أن عثمان لم يجمع الناس على مصحف زيد بن ثابت ، ولا على مصحف فرد من الأفراد ، وإنما جمع الناس على مصحف انعقد عليه إجماع الأمة القطعي ، وفيها إذ ذاك ابن مسعود ، وأبي وعشرات بل مئات ممن كانوا يحفظون القرآن كاملاً مرتباً كما عرضه جبريل عليه السلام آخر مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمع من أحد منهم إنكار في شيء أو خلاف في حرف ، ولم يكن لزيد بن ثابت في هذا المصحف إلا مهمة النقل من العصب والخاف وصدور الرجال إلى الصحف المجتمعة برعاية أفضل الناس وأعلمهم بكتاب الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق ، ورعاية وزيره القوي الأمين فاروق الأسلام ، ومن

ورائهم جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم فوق أربعة عشر ألفاً ومائة ألف كلهم عدول لا يخافون في الحق لومة لائم .

على أن وجود زيد بن ثابت رضى الله عنه على رأس القائمين بنسخ الصحف الأولى ونقلها إلى المصاحف على عهد عثمان — وكان زيد هو الذى تولى جمعها على عهد الصديق — دليل قاطع على أن عثمان رضى الله عنه لم يصنع إلا ما أجمعت عليه الأمة في عهد الخليفة الأول مقتصرأ عند وجود خلاف في القراءات على لغة قريش قطعاً لداير الاختلاف في وجوه القراءة ، محتجاً بأنه نزل بلسانهم ، ولم ينكر عليه أحد .

قال ابن التين وغيره من أعلام الأمة : « الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان لحشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتباً آيات سورة على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض نغشى من تفاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للجرح والمشقة في ابتداء الأمر . فرأى أن الحاجة قد انتهت فاقصر على لغة واحدة » .

صادق إبراهيم هريز

من كلمات معاوية

قال المدائني : وفد أهل العراق على معاوية ومعهم زياد ، وفيهم الأحنف بن قيس . فقال زياد : يا أمير المؤمنين أشخصت إليك أفواما الرغبة ، وأقعدت عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف ، ويكفى به الشاخص .

فقال معاوية : مرحبا بكم يامعشر العرب ، والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم ، إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم بأن تخير لكم بلادا يجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأحام كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها ، ففسدوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ، فإن الحسن منكم أحسن لقبكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدهم عنه .

فقال الأحنف : والله ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً ، ورأياً أصيلاً ، ووعداً جزيلاً ، وإن أذاك زياداً لمتبع آثارك فينا . فانكم كما قال زهير :

وما بك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل

ورائهم جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم فوق أربعة عشر ألفاً ومائة ألف كلهم عدول لا يخافون في الحق لومة لائم .

على أن وجود زيد بن ثابت رضي الله عنه على رأس القائمين بنسخ الصحف الأولى ونقلها إلى المصاحف على عهد عثمان — وكان زيد هو الذي تولى جمعها على عهد الصديق — دليل قاطع على أن عثمان رضي الله عنه لم يصنع إلا ما أجمعت عليه الأمة في عهد الخليفة الأول مقتصرأ عند وجود خلاف في القراءات على لغة قريش قطعاً لدابر الاختلاف في وجوه القراءة ، محتجاً بأنه نزل بلسانهم ، ولم ينكر عليه أحد .

قال ابن التين وغيره من أعلام الأئمة : « الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض نخشي من تعاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للرجح والمشقة في ابتداء الأمر . فرأى أن الحاجة قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة » .

صادق إبراهيم عمرجور

من كلمات معاوية

قال المدائني : وفد أهل العراق على معاوية ومعه زياد ، وفيهم الأحنف بن قيس . فقال زياد : يا أمير المؤمنين أشخصت إليك أقواما الرغبة ، وأقعدت عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف ، ويكافي به الشاخص .

فقال معاوية : مرحبا بكم يامعشر العرب ، والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم ، إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم بأن تحيروا لكم بلادا يجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأحم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها ، فصـونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ، فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدهم عنه .

فقال الأحنف : والله ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً ، ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ، وإن أخاك زياداً لمتبع آثارك فينا . فانكم كما قال زهير :

وما بك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

الحلف بالنبي

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

كثيرا ما نسمع من الناس قسما (وحيات النبي محمد افعل كذا) فهل هذا قسم له كفارة ؟ وإذا كان ليس له كفارة فما جزاء الحاث في هذا القسم ؟ وهل يعتبر قسما أو لا ؟

محمد السيد الخواص

والجواب :

قال صلى الله عليه وسلم : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . ومفاد هذا أن القسم بغير الله لا يجوز . ولا يلزم به كفارة لأنه ليس بيمين شرعية . وليستغفر الله سواء بر في يمينه أم حنث شرعا . والله أعلم .

معنى الصلاة على رسول الله

وجاء إلى اللجنة الاستفتاء الآتي :

إن فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكر ، وقد تواترت الأحاديث بذلك ، ولكن الذي خفي علينا هو :

ما معنى اللهم صل عليه ؟ هل يصلى عليه الله صلاة ذات ركوع وسجود ، أم هل يصله الله بصلاة كالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود ؟ وهل النبي محتاج لأن ندعوه له بأن يعطيه الله كذا وكذا ، أم هل المقصود من صلاتنا عليه تقربنا إليه ؟

محمد محمد أبو الحسن

والجواب :

قال الله تعالى : « إِنْ أَفْضَلُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مَا يَنْزِلُ فِي الْكِتَابِ وَلِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ » .

وروى البخاري عن أبي العالية أن الصلاة من الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم معناها ثنائه عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم عند ملائكته ، وتعظيمه تعالى إياه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء العمل بشريعته ، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته ، وإجزال أجره ومثوبته ، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود ، وتقديمه على كافة المقربين . ومحال أن تكون الصلاة من الله تعالى ذات ركوع أو سجود أو حركة من الحركات ، فإن الحركات من صفات الأجسام ، والله تعالى منزّه عن الجسمانية « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »

وروى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية أن الصلاة من الملائكة الدعاء له عليه الصلاة والسلام .

وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال : « أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد : « أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد » .

وفضل الله تعالى لا يحده ، وعنده سبحانه وتعالى مبرات ونعم لا تنتهي ، وكل الخلائق محتاجون الى نعمة الله وفضله .

وطلب الصلاة منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تكريم له عليه الصلاة والسلام ، وتأديب للمسلمين ، وتعويدهم على مكارم الأخلاق ، ليذكروا لكل من يسدى اليهم معروفا . ولا يداني شيء في العالم ما أداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل بتبليغ الرسالة وهداية الناس ، صلى الله عليه وسلم ؟

العبادة لاستقاط الصلاة

وجاء الى اللجنة أيضا ما يأتي :

موجودة عندنا المجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة (تأليف عبده . محمد بابا) وهي مشتملة على بعض الأحاديث ، منها :

فائدة : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من فاته صلاة في عمره ولم يحصها فليقم في آخر جمعة من رمضان ويصلي أربع ركعات بتشهد واحد يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة الفدر خمسة عشر مرة وسورة الكوثر كذلك ، ويقول في النية : نويت أصلي

أربع ركعات كفارة لما فاتني من الصلاة ، وبعد انتهاء الصلاة يصلي على النبي مائة مرة بأي صيغة كانت ، ولها دعاء يتلى بعد الصلاة على النبي ، لم أذكره خوفا من الإطالة ، فذهبت الى المسجد فصليتها كما هي المذكورة ، فعارضني بعض علماء بلدتي فقال لي إنها كذب ولا تعد تصليها ثانيا . فأرجو الافادة هل هي صحيحة أم لا .
فهرمى أبو زبر عوض

والجواب :

الصلاة واجب قضاؤها باجماع المسلمين ، ولا يسقطها شيء غير ذلك ما دام المكلف على قيد الحياة قادرا على قضاؤها . فهذه الألعوبة التي يسميها المستفتي فائدة باطلة شرعا لا يجوز التعمويل عليها .

واللجنة تنصح للمسلمين أن يتلقوا دينهم عن العلماء العارفين حتى لا يضلوا ولا يعتمدوا عن الله جل جلاله ، وإذن لا يعصمهم من الله شيء في الأرض ولا في السماء . والله أعلم .

الوظيفة أو صلاة الجمعة

وجاء الى اللجنة الاستفتاء الآتي: كابتور عدم رضى

موظف بإحدى المصالح التي تعمل يوم الجمعة ، أحيانا يمنعه رئيسه من الخروج الى الصلاة ، وأحيانا تمنعه كثرة عمله في هذا اليوم من الخروج إليها ، فيصير أمام أمرين لا مفر منهما : فإما معاندة رئيسه مما يؤدي الى فصله من العمل الذي ليس له مورد للرزق سواء ، وإما ترك العمل المتراكم أمامه ، وفي هذا من المسؤولية الجسيمة وتعطيل أعمال المصلحة ما يؤدي الى الفصل أيضا . فهل يجوز له في الحالتين ترك الجمعة وصلاتها ظهرا ؟

الجواب :

نص الفقهاء في المذاهب الأربعة على أن من الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة خوف الإنسان على نفسه أو على ماله ، فيجوز لمن خشى تعطيل المصالح العامة ، أو لحاق الأذى به من رئيسه ، أن يتخلف عن أداء صلاة الجمعة ، والله حسيب الظالمين . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد مصطفى المرافى

أربع ركعات كفارة لما فاتني من الصلاة ، وبعد انتهاء الصلاة يصلي على النبي مائة مرة بأي صيغة كانت ، ولها دعاء يتلى بعد الصلاة على النبي ، لم أذكره خوفاً من الإطالة ، فذهبت إلى المسجد فصليتها كما هي مذكورة ، فعارضني بعض علماء بلدتي فقال لي إنها كذب ولا تعد تصليها ثانياً . فأرجو الافادة هل هي صحيحة أم لا .
فهمي أبو زبير عوض

والجواب :

الصلاة واجب قضاؤها باجماع المسلمين ، ولا يسقطها شيء غير ذلك ما دام المكلف على قيد الحياة قادراً على قضاائها . فهذه الألعية التي يسميها المستفتي فائدة باطلة شرعاً لا يجوز التعمويل عليها .

واللجنة تنصح للمسلمين أن يتلقوا دينهم عن العلماء العارفين حتى لا يضلوا ولا يعتمدوا عن الله جل جلاله ، وإذن لا يعصمهم من الله شيء في الأرض ولا في السماء . والله أعلم .

الوظيفة أو صلاة الجمعة

وجاء إلى اللجنة الاستفتاء الآتي :

موظف بإحدى المصالح التي تعمل يوم الجمعة ، أحياناً يمنعه رئيسه من الخروج إلى الصلاة ، وأحياناً تمنعه كثرة عمله في هذا اليوم من الخروج إليها ، فيصير أمام أمرين لا مفر منهما : فإما معاندة رئيسه مما يؤدي إلى فصله من العمل الذي ليس له مورد للرزق سواء ، وإما ترك العمل المتراكم أمامه ، وفي هذا من المسؤولية الجسيمة وتعطيل أعمال المصلحة ما يؤدي إلى الفصل أيضاً . فهل يجوز له في الحالتين ترك الجمعة وصلاتها ظهراً ؟

الجواب :

نص الفقهاء في المذاهب الأربعة على أن من الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة خوف الإنسان على نفسه أو على ماله ، فيجوز لمن خشي تعطيل المصالح العامة ، أو لحاق الأذى به من رئيسه ، أن يتخلف عن أداء صلاة الجمعة ، والله حسيب الظالمين . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد مصطفى المراغي

دفع شبهة عن الاسلام

كتب إلى كاتب معروف من يافا يصارحني عن قيام شبهة عنده في شدة العقوبات التي أوعدها الإسلام المجرمين في الدار الآخرة ، وقد أجيبت حضرته بكتاب رأيت أن أنقله في مجلة الأزهر لما فيه من دفع شبهة تحيك في صدور كثير من الناس . وهذه صورة ما كتبتة :

وبعد فقد قرأت كتابكم ، وأعجبت بصراحتكم ، وإنه لجدير بكل من تحيك في صدره شكوك في الدين أن يجاهر بها ، وأن يطلب إلى ذوي الرأي رأيهم في إزالتها ؛ فلو فعل كل شاك مثل ما فعلتم ، لاضطر حفظة الأديان إلى وجدان الحلول المناسبة لكل ضرب من ضروب الشبهات ، ولزادت معرفة الناس بمبلغ المناعة التي يتحلى بها الإسلام ، إزاء طغيان العقول في كل دور من أدوار التطورات العلمية .

إن شبهتكم التي ذكرتموها تنحصر في شدة العقوبات التي أوعدها القرآن المجرمين على إجرامهم ، وقد هالكم جدا أنه قرر لبعضهم الخلود في النار . وقلتم إن المقصد من العقوبات لا يجوز أن يكون مبنيا على باعث الانتقام ، ولسكن على مبدأ التربية والاصلاح ، ثم قلتم والعقوبات في الاسلام لا تؤدي إلى هذه الغاية ، بل تؤدي إلى الاهلاك والابادة !

اسمحوا لي أن أقول لكم إن هذه النظرة في الاسلام سطحية ، وتتم عن تجاهل كبير للمبادئ الأولية المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، ألم يقل الله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم » ؟ ألم يقل : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ؟ ويقول : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » ؟

وهل يشكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تدفع الحدود بالشبهات ، وأنه كان يلحق الشبهات بنفسه الذي جاء إليه معترفا بأنه زني ؛ فيسكن يقول له : لعلك لامست ، لعلك قبلت ، إلخ ، رجاء أن يقول ذلك فترفع عنه العقوبة ؟

وقد أكثر الكتاب من ذكر العفو فقال تعالى : « والعافين عن الناس » وقال : « وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » إلخ إلخ .

من هنا يتضح أن مبدأ الانتقام في العقوبة ، وهو المبدأ الرث القديم الذي كان يأخذ به الأولون ، لا وجود له في الاسلام ، وأنه قد حل محله مبدأ الاصلاح والتقويم بتخفيف العقوبات ، والجنوح لمصلحة المتهمين . وقد اعتد الاسلام مع هذا كله بضعف الانسان بسبب ما يحيط به من عوامل الاغراء والتسويل ، فقال تعالى : « وخلق الانسان ضعيفا » ، فأين يضع

المعتز القسوة وحب الانتقام بين هذه الآيات الدالة على الغايات القصوى في التلطف بسكان ضعيف جاهل كالانسان ؟

نعم إن في الكتاب آيات كثيرة تدل على العنف والبطش في العقوبات الآخروية ، ولكن هل تريد أقل من ذلك للتأثير في نفسية أمة جاهلية ، عاشت آلاف من السنين على حالة من القسوة وغلظ الكبد ، بحيث كانت تقتل أولادها خشية الاملاق ، ويأكل بعضها بعضا في سبيل البقاء ، وتفخر بالنهب والسلب ، وتتباهى بالقتل والفك ، وتتمدح بهتك الاعراض ، واستباحة الحرمات ، ونشر المخاوف ، وتعميم المعاطب ، والتحلل من جميع الأوضاع البشرية والساوية ؟ ألم يك مما يتماشى مع مبدأ التربية الحقة ، أن يكون الى جانب الأصول العالية ، والمبادئ السامية التي يراد أن تحل محل هذه الفوضى ، صيحة من الزجر تناسب وتلك القلوب الصخرية والنفوس الحيوانية ، وتكفي لأن تبلغ منها ما يجب أن يبلغه التنبيه من سامعه ، والانذار من مستوحيه ؟

مما يدلك على أن المقصود في الكتاب بكل ما تظنه انتقاما ، هو التأثير في تلك القلوب العاتية ، والنفوس الجاسية ، ما جاء في الكتاب نفسه من قوله تعالى : « لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ، يعباد فاتقون . »

وبعد ، فإن لكل محاولة ثمرة ، فإذا كانت ثمرة نشر الاسلام في الأمة العربية ؟ أكانت ثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، أم ثمرة شجرة خبيثة اجتمعت من فوق الأرض ما لها من قرار ؟ أى أكانت ثمرة تنفض ثمرة طافية بلغت منها العنصرية مبلغها ، فركبت رأسها ، وملأت الأرض مظالم ومخازي ، ونهضت الأمم فسحقها تحت كلالها حتى سلبتها وجودها ، ثم بادت هي في وسط طغيانها كما بادت جميع الأمم التي على شاكلتها ؟ أم كانت ثمرة تأليف أمة ماجدة ، وصلت فيها آثار التربية النفسية الى ذروتها ، فأقامت وجودها على أصول الفضائل ، وزاملت الأمم حتى التي دوختها مزاملة المناخين في الحق ، وأسست مدنية كانت مثلاً أعلى لجميع الأمم ، يستمدون من علومها وفنونها ، ما يقيمون به أودهم ويقوون به وجودهم ، وهي تسمح لهم بذلك طيبة النفس ، ثقة بأنها بذلك تخدم الإنسانية ، وخدمة الإنسانية مرمى الاسلام الذي أوجدها من العدم ، وجعل لها هذه المكانة بين الأمم ؟ وكما يجب علينا أن ننظر للاسلام هذه النظرة العامة ، كذلك يجب علينا أن لا ننسى ما تسعه اللغة العربية من الاحتمالات المعنوية ، فالتخليد فيها يعنى طول البقاء لا الدوام . جاء في السكليات : « كل ما يثباتاً عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود ، كقولهم للأيام خوالد ، وذلك لطول مكثها لا للدوام . »

وقد هالتكم آيات الوعيد بما حملت من أهوال ومزعجات ، وخيل اليكم أنها تضر أكثر مما تنفع ، والواقع أنها أفادت العرب ، ما لم تقدم الاحداث الاجتماعية التي تواتت عليهم آمادا طويلة

فنبغ منهم الراكون الساجدون ، والمحبتون المتزهدون ، والصائمون المتنفلون ، والقائمون المتعبدون ، حتى وجد منهم من يصوم الدهر ، وبحرم على نفسه أكل اللحم ، ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهام عن الإفراط لوجد منهم المتبتلون والمترهبون .

قلتم يمكننا أن نستغنى عن الإيعادات الخيفة ، ونفهم الناس بأن الامتناع عن المعاصي أجدى لهم ، فلنخطب عقول الناس وضماؤهم ، بدل أن نخوفهم بالخرافات كما نخوف الأطفال !
نقول : الأسلوب الذى تذكرونه فى التربية يفيد فى جميع العصور ، وليسكن فى عدد محصور من الناس ، ولا يفيد فى سوادهم الأعظم ، ولست أحييكم إلا إلى التأمل فى أحوال الناس ، وبخاصة فى هذا العصر حيث اتفقوا على الإباحة ، فأصبحوا يجاهرون بما يستحى أن يجاهر به المتوحشون ، ومن الغريب أنهم يعتبرون من لا يقول برأيهم مأفونا !

والدين الإسلامى وجد قبل نحو ألف وأربعمائة سنة ، والناس إذ ذاك لا يفهمون إلا لغة الحديد والنار ، وكانت حاجة العالم ماسة إلى تأسيس دين قيم يُعتبر إصلاحا لجميع الأديان ، وإقامة دولة تحدث انقلابا عالميا فى الأرض ، فإذا كان الإسلام قصر اعتماده على مخاطبة العقل ومناجاة الضمائر ، لما انضم إليه إلا الأفذاذ من أهل الشعور الذين لا يغنون عن أنفسهم فى ميدان الصراع العالمى شينا ، ولبطشت بهم الوثنية بطشة لا يفيقون منها إلا وهم فى عالم الأرواح المجردة ، فهل كنتم تريدون أن تحيى الإسلام فى تأسيس تلك الدولة العالمية ، وأن يترك الوثنية والأديان المحرفة المجال حرا لتفسد فى الأرض ؟

لعلكم تقولون : وماذا كان يحدث من السوء فى العالم لو كان خاب الإسلام ، وأى شئ كان ينقصه لو لم تقم له دولة فى الأرض ؟

نقول : كان يحدث فى العالم شر مستطير ، وينقصه خير كثير ، ألم يحرر الإسلام العقل من إيساره ، وينصبه ميزانا للتمييز بين الحق والباطل ؟ إن هذا وحده يعتبر تحولا ضخما فى العقلية الإنسانية من ناحية الأمور الاعتقادية ، كان لابد منه فى عهد بلغ فيه العقل رشده . أما علمت أن قادة الأمم كانوا يدعون للإيمان التقليدى ولا يقيمون للعقل وزنا ، وهذه حال أتت على حياة ملايين من الناس اعتُبروا مبتدعة لمجرد محاولتهم تحكيم العقل فى العقائد ، وطلبهم الدليل على ما أمروا أن يؤمنوا به ، فكان الدين فى هذه الأحوال أداة استعباد فى أبهى طائفة من رجاله فى كل أمة ؟ ألم يك من أوليات المصالح البشرية أن ينشأ دين يعيد للعقل سلطانه ، ويرفع عن كواهل الناس آصار التقليد الذى فدحهم آمادا طويلة ؟ إى وربك ، وكان هذا الدين هو الإسلام ، الذى أقام العقل فيصلا بين الحق والباطل ، وأعلن أن الإيمان التقليدى غير مقبول ، فسقطت بذلك دولة المتحكمين فى الأديان ، ودخل الناس فى دور جديد من إجالة العقل فيما يطلب اليهم الإيمان به من العقائد ، فتآخى الدين والعقل لأول مرة فى تاريخ البشرية ، وكان أثر هذا

الانتقال في ترقية الشعوب ، وتحريرها من عبودية المييع والهيكل ، مما لا يمكن تفصيله في هذه المجالة .

وكما حرر الاسلام العقل من إساره ، حرر الانسان من عبوديته لرجال من أمثاله ، فأعلن أن لا وساطة بين الله وخلقه ، وأن الناس سواء أمامه لا يتفاضلون إلا بالقوى أو بعمل صالح ، وأن كل إنسان مسئول عن عمله ومجازى عليه ، وأنه لا تنفعه شفاعة الشافعين ، وأن ليس للانسان إلا ما سمى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى . والكلمة الخالدة التي يجب أن تكون عنوانا على هذا العهد من الانتقال من القصر الى سن الرشد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اعملى يا فاطمة فاني لا أغنى عنك من الله شيئا » .

وزاد الاسلام في مدى هذه الحرية ، فأعلن أن الناس كلهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وأن اختلاف الاجناس واللغات والالوان لا تأثير له في بلوغ كل إنسان غاية ما يتوق اليه من منازل الرفعة الدنيوية والاخرية ، فلا طوائف ذات امتيازات ، وطوائف محرومة منها ؛ ولا طبقات سيده وطبقات مسودة ؛ بل مساواة عامة كاملة بين آحاد الأمة الواحدة وبين شعوب الارض كافة ، فقال تعالى : « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

فهذان الاصلان : حرية العقل والضمير ، وحرية الآحاد والأمم ، كم كنت تقدر لحدوثهما من الآماد ، وكم كنت تتوقع للانسانية حتى تصل اليهما من الانقلابات ، لو لم يحىء الاسلام فيعلمهما على رءوس الاشهاد ، وينافح عنهما حتى جعلهما من المثل العليا بين الأمم في سنين معدودة ؟ ثم إن الأمم كانت قبل محىء الاسلام خولا مستعبدة لأمتين عظيمتين : الفرس والرومان ، وكانت تتنازعان السلطان عليهما ، وتسوقان من خضع منها لها إلى مجازر الحرب التي تنور بينهما ، وكانت مصلحة العالم تتطلب أن تقلم أظفار هاتين الامتين لكي لا تعبثا بحقوق الجماعات البشرية في سبيل مطامعهما ؛ فمن الذي قام بهذه المهمة العالمية غير الاسلام ؟ إنه احتك بهما معا ، فأفنى أولاهما في جثمانه ، وانقلبت خيرا مما كانت ، وأحال الثانية إلى حدودها الطبيعية ، فكيف يمكن أن يقال بعد هذا : كان يمكن للعالم أن يستغنى عن محىء الاسلام ؟

وها هو الاسلام في نقائه الاول يرفع إلى اليوم علم الديموقراطية الصحيحة ، التي كان هو نفسه أول من أسسها في الأرض ، وبين يديه جميع التطورات الاعتقادية والاصولية التي أوجدها ، منتظرا أن يستقر السلام ، ليعمل أبناءه مع الذين سيعملون على إعادة بناء الانسانية ، وإقامتها على أصول المدنية الفاضلة التي كان هو أول من أهاب بالأمم اليها في الأرض .

وادی السعادة

— ٤ —

فی بیت متزوج

قصد الأمير بعد ذلك الى بيت رجل متزوج واستأذنه في الدخول ، فترك زمنا طويلا على الباب حتى ترتب قاعة الجلوس ، فإن الأولاد لم يتركوا فيها مقعداً مكانه ، وأنوا إليها بلعباتهم ، وأطباق أكلهم ، ثم دخل الأمير فوجد رجلا ابن خمسين سنة قد وخط الشيب شعره ، وظهرت أخايد المتاعب على جبهته وحول عينيه .

الأمير - لا تؤاخذني ياسيدي على هذه الزيارة فإني أبحث عن السعادة في البيت ، فلم أجدها في بيت الأعزب إذ تنقصه الزوجة والأولاد ، فحضرت الى هنا أفقدها عندك ، وأنت محاط بزوحتك وأولادك .

الرجل - الزوجة والأولاد ؟ وما شكواي إلا من الزوجة والأولاد ! الزوجة نائز في البيت إن أنت تجهمت لها جرح قلبها ، وحرمت إشراق وجهها ، ولمعة عيونها ، وإقبال عواطفها ، وإن أنت تركتها فلا تأمن الزلل وما يحجره الزلل . ليت زوجتي تغفر لأمي وأخواتي ، إن الصدفة جعلت من الأولى حماة لها ، ومن الأخريات أخوات زوجها ، وليتها ترضى أن تكون زينة امرأة أخرى أحلى من زينتها ، وملابسها أنغر من ملابسها ، فسلاما ترهقني بالانفاق في مجال النجمل القائم بين النساء ! .

أما الأولاد فهم حمل يهبط أكتاف الوالدين ، يبدأ الشعور به من يوم الحمل ، ولا يزاح أبدا مهما كبر الأولاد ، وكل ولد يولد لك ينقب في جيبك ثقباً ينزف منه مرتبك الى حيوب الأطباء والصيادلة وخزائن المدارس ، وبقدر عدد أولادي توجد خروق بجيبي ، حتى أصبح جيبي كالمصفاة لا يبقى بأعلاه إلا النفل وهو لا يكفي لكسائي والترفيه عن نفسي ، فانا لذلك مستتر وراء حائط بيتي حتى لا أظهر بين إخواني ومعارفي بلباس لا أحب أن يروني فيه .

تسمع قادة الأمة يقولون : الأولاد عدة الأمة وقوتها المستقبلية ، فإذا كان ذلك صحيحا فلماذا لا تقوم الأمة بالانفاق عليهم ، والعناية بهم ؟ وإذا كانت الأمة تريد أن توكل ذلك الى الوالدين لأن الطبيعة ركبت فيها عواطف تضمن للأمة حسن القيام بهذا الواجب ، فلماذا لا تمتد الأمة هذين الوالدين المسكينين بمعونة مالية تلقاء عملهم القومي ؟ .

لعم جليل أن ترى أولادك يحجرون أمامك ويلعبون ، وتسمع رنين أصواتهم تجلجل في أذنيك ، ولكن الثمن غال ياسيدي الأمير .

الأمير — يخيل الى أن الزواج العقيم خير الزيجات .

الرجل — ولا هذا ياسيدي الأمير . فقد عشت زل زواجي خمس سنوات دون أن تأتي بأولاد ، وفي الثلاث السنوات الأولى من الخمس كانت زوجتي تجهض نفسها عند كل حمل ، وكانت في كل مرة تشرف على الموت حتى تحطمت بئنها ، فخشيت أن تموت في محاولة أخرى فعمت أنا من جانبي على منع الحمل بالوسائل المعروفة لدى الرجال ، ولكن تأثر جهازى العصبي وجهاز زوجتي تأثرا لم نفهم له وقتها سببا ، فعرضت أمرى وأمر زوجتي على طبيب ، فنصحنا بأن لا نعاود هذه المحاولات أبدا .

قال الطبيب : إن الحمل عمل من أعمال الطبيعة ، يتم بعد اللقاح رضىة الأنثى به أم لم ترض ، فهي لا تستطيع له ردا ، بل ينمقد الحمل دون أن تحس به الأنثى ، وينبئ عن نفسه بعوارض مرضية تصيبها ، إعلانا لها بأنها استودعت وديعة للطبيعة ، فإذا حاولت الأنثى التخلص من هذه الوديعة بالإجهاض نارت الطبيعة في وجهها ، وقاتلتها دفاعا عن ثمرتها ، وكثيرا ما قتلتها ، وعلى كل حال لا تخرج الأنثى من هذا الصراع إلا بمحطمة البناء ، وإذا حاول الرجل من جانبه عدم اللقاح اضطرب جهازه وجهاز زوجته العصبي فأخذوا يعتركان ويشور أحدهما على الآخر لأتفه الأسباب ، لا بدافع من كراهية ، وإنما بدافع مجهول ، وهو أن الطبيعة تريد أن تفرق بينهما ما داما لا يربدان أن يقوموا بواجبهما نحوها .

هالنى الأمر ، وكنت أحب زوجتي ، فعدلنا نحن الاثنان عن هذا الطريق الملتوى المخوف بالمخاطر ونشدنا الأولاد ، ولكن الطبيعة كانت قد تنكرت لنا ، فتركنا سفتين لا تصغى الى توسلاتنا ، وهزأت بكل وسيلة توسلنا بها الى الحمل .

أجارك الله ياسيدي الأمير ! شغفت بالأولاد الى حد الجنون ، وكنت إذا مررت بغلام في الطريق ، اقتربت منه لأخذه بين يدي لأقبله ، ولكن أهله كانوا يحفظونه منى ، ويضربوننى خوفا على ولدهم من الحسد كما يتوهمون . ولما رأيت زوجتي حال هذه خشيت أن أضاقها وأتزوج بأخرى ، فأخذت تتردد على الأطباء والقوابل عليها تجد ما يفك عسرهما ، ولكن بلا فائدة . وكنت وزوجتي إذا ضمنا مجلس مع صعب من ذوى الأولاد أحسنا في قرارة نفسنا أن بنا عجزا لا ندرى كنهه ، وأخذنا فى تحميم عدم الخلف وتبيان مناعب الأولاد ، تغطية لمرکزنا ، ودفعنا لحجلنا ، ثم اشتد الأمر بينى وبين زوجتي فصرنا نقسب ، ويتم أحدنا الآخر بالمعز ، وعدم القدرة على الخلف ، الى أن أدركنا طبيب أشار علينا بالتباعد زمنا تستجم زوجتي فيه مما نالها من الإعياء بسبب الإجهاض ، ففعلنا ، وشفحت الطبيعة عنا ، ورضينا بحكمها صاغرين .

فرعون مصر

الحكيم — أنت تعرف يا مولاي أن عجائب الدنيا سبع ، وإحدى تلك العجائب أهرامات مصر ، فيحسن بنا قبل العودة الى بلادنا أن نرى الأهرام ، ونشاهد مقبرة فرعون . حينذ الأمير هذا الرأي ، وذهبا من فورهما الى الأهرام ، ولما وصلا اليها جلسا في غرفة مقبرة الهرم الأكبر ، وأخذا يستعيدان تاريخ القراعنة ، ويعجبان ببناء الأهرام الضخمة .

الأمير — لقد كان فرعون مصر الذي بنى هذا الهرم أقوى البراطرة في زمنه ، ولعله كان أسعدهم .

الحكيم — لقد قرأت الشيء الكثير عن فرعون مصر الذي بنى هذا الهرم الأكبر ، فوجدت أن سلطانه امتد شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، واكتظت خزائنه بالثروات ، ومع ذلك لم يشبع المال نفسه ، ولم يرو السلطان عطشه ، وكان كلما اتسع سلطانه ، ازداد طغيانه ، وكلما كثر ماله ، زاد جشعه ، وهو بهذا الهرم يريد أن لا يطبق صيته الآفاق في عصره فحسب ، ويرى ثراه أهل زمانه فقط ، بل يريد أن يبقى صيته برن في جواء كل عصر ، ويرى الناس ماله في كل زمان ، فساق الناس بالسياط وحشهم بالرغم يقيمون له الهرم ، وكانوا يأتون بالحجارة من ساحق البلاد ، ويرفعون بعضها فوق بعض حتى شادوا ما نرى ، غير آبه بألامهم وتعباتهم ، لأنه هو نفسه كان في جبريه وراء شهوة السلطان ، أنفس منهم وأكثر ألما .

ثم عاد الاثنان من الزيارة الى البيت ، وعولا على زيارة مقابر القاهرة كما زارا مقبرة فرعون .

مقبرة القاهرة

انقل الأمير والحكيم من مدينة الأحياء الى مدينة الأموات ، فوجدا أن الأحياء — ولم ينجحوا في تهية الراحة لأنفسهم في مدينتهم — لم يدعوا الأموات يرتاحون في مقابرهم ، فأدخلوا الفروق الاجتماعية التي هي سبب تعاسة الأحياء ، أدخلوها بين الأموات ، فأقاموا في مدينة الموتى أحياء للأغنياء ، وأحياء للفقراء ، وجعلوا أحياء أغنياء الموتى ذات منازل نفخة ، وحجر فسيحة ، وفرشوها بالياش الفاخر ، وحلوا وزينوها ، ونسقوا أحداثها ، وورصفوا شوارعها وظللوها بالأشجار ، وأودعوا موتاهم قبورا مصنوعة من الرخام المموء بالذهب .

أما أحياء الفقراء فكأحيائهم في الدنيا سواء بسواء ، متربة ذات حوار ضيقة معوجة ، وقد ساوت أجداثها التراب أو كادت .

فل الحكيم للأمير يظهر لى أن الأحياء لا يريدون أن يرتاحوا ولا أن يدعوا الموتى

مناجاة الحكيم والامير

جلس الحكيم والامير يتناجيان .

الحكيم — قال الحكيم : هل وجدت أيها الامير السعادة خارج وادي السعادة ؟

الامير — إذا أخذنا بظاهر الامور فكل إنسان يوهم مظهره أنه وجد السعادة في الحياة التي يشدها ، ولكنك كلما اقتربت منه ، وفشت نفسه ، وحملته على الكلام ، وجسده يشكو شيئا ؛ ألما من شيء كان يجب أن يتم على وجه ما ، أو أملا خاب كان يجب أن يتحقق ، أو أمنية بعيدة كان يعلق عليها أغراضه . وتظاهر الناس بالسعادة ، وهو غير صحيح كاذب ، هو سبب تطلهم إلى السكال ، إذ يظن كل واحد أن زميله حصل على قسط من السعادة ، فيلمبه هذا الظن فيعمل للحصول على قسطه منها ! إنى أظن أن السعادة غير موجودة في الطبيعة كحالة إذا وصل إليها الانسان انقطعت عنه جميع منفصات الحياة ، ولكني أظن أنه توجد حالات يكون فيها المرء أسعد منه في غيرها ؛ وهذا التفاوت في درجات السعادة ، هو الذي يحفز الهمم إلى السعي لدرك السكال . فمن الحكمة إذا وأسالة الرأي أن يتم اختيار الانسان على نوع من الحياة يكون أقل الأنواع شرا .

الحكيم — هذا صحيح ولكن قليل هم الذين اختاروا حياتهم وارتضوها . أما السواد فكل رجل منهم وصل إلى ما وصل إليه بفعل ظروف لا شأن لرويته في تكوينها ، فهو لم يتدبر شيئا ، ولم يرتب شيئا ، بل حمل إلى حيث هو على قم أمواج حاجتها ظروف اجتماعية أو اقتصادية أو دينية بنت وقتها ، ولذلك قلما تقابل امرا لا يشكو اليك من أن حظ جاره كان خيرا من حظه كحال الأعزب والمتزوج .

عزيرى القارى :

قرأت وأنا ابن ثمانى عشرة سنة ، كتابا انجائيا اسمه الوادي السعيد ، بحث فيه مؤلفه عن السعادة ، فأعجبت به ، ثم ركبت سفينة الحياة ، وخضت بحارها ، وكانت ترفعني أمواجها تارة ، وتخفضني تارة أخرى ، وعصفت بي العواصف ، وبسمت لى الشמוש إلى أن قدفني اليم إلى مرفأ هادئ ، فتذكرت الكتاب الذى قرأته ، وأنا اليوم ابن ست وخمسين سنة ، وبحنت عنه فلم أجده ، ففتشت فى نفسى فوجدت فى طياتها هيكل هذا الكتاب ، فكسوته لحما من تجاربي ، وتفتت فيه من روحى ، فأنت ترانى خلال أسطر هذا المقال إذا كنت تعرفنى .

والسلام عليكم ورحمة الله ما
عبد السلام محمود

٢ - مصادر العدالة

عند فلاسفة الأخلاق

أشرنا إلى ماهية العدالة ، فينبغي أن نحدد مصادرها قلنا إن فكرة العدالة تفترض حرية يطلبها الفرد لنفسه كما يطلبها للآخرين وعلى هذا فإنه يجب أن نحدد شروطها العواطف الأثرية . وفي الحقيقة هذا وحده يعتبر الإنسان حياته خيرا . وهو لا يستطيع أن يعيش قط إذا لم يحتفظ بحرية حركانه . وهو يرفض كل الالتزامات التي يدرك أنها غير ضرورية ، ويعلن أن كل ما ينقص أو يحاول أن ينقص من قوة حركانه وفعله بدون سبب اجتماعي ظاهر فهو فعل ظالم .

وقد فصل سبنسر - في كتابه La Justice - تفصيلا قويا تاريخ تلك العاطفة الأثرية للعدالة . ففي أحط درجاتها كانت تقاوم ما يمنع الفرد من استخدام قواه الطبيعية وجميع الميزات التي تحصل عليها من تلك القوى ، ثم أخذت تلك العاطفة تعظم شيئا فشيئا كلما تقدمت قوى الإنسان العقلية ، ثم بعد أن بدأت تقاوم كل ما ينزل بالأفراد من آلام ومظالم تحولت صورتها إلى مقاومة أشياء أقل ظلمة ووحشية ، ثم رأيناها أخيرا تقاوم الإفراط في الخضوع السياسي . أما في أسمى صورها فقد قاومت الامتيازات التي بدعياها بعض الطبقات ، والتي تنتج مظالم من كل الأنواع .

يرى Yacub أن ثمة شيئا فات سبنسر أن يقوله وكان يجب عليه أن يضيفه ، وهو أن مطالب الفردية الإنسانية بقدر ما تتسع وتعظم ، بقدر ما تتغير في كمها وكيفها . فحين يصبح الإنسان قادرا على أن يفكر باستقلال وعلى أن يحكم طبقا لفكره الخاص ، يشعر بعظمته الداخلية . ولما كانت مقيدا بأفكاره وآرائه بالقوة عينها التي كانت تقيده بوسائل الحياة الطبيعية والاقتصادية ، فإنه بعد كظم لا يطاق ما يحدد من قيمته الإنسانية ، وما يريد أن يخضع هذا التفكير لقيود ولو كانت هذه القيود عادلة . أو في كلمات أخرى إن تقدم القوى العقلية يقود شيئا فشيئا غريزة الاحتفاظ بالذات نحو هذه الصورة السامية التي يريد الإنسان فيها قبل كل شيء أن يثبت حرية العقل في صورتها الكاملة .

هذا الشعور الشخصي موجود إذن في أساس فكرة العدالة ، ولكن فكرة العدالة لا تتميز تميزا تاما إلا إذا حاولنا أن نوقف في المجموعة الإنسانية أو على الأقل في معظم تلك المجموعة الشعور الآتي : وهو أن أشعر كل إنسان أن فيما يصيب الحرية الشخصية لإنسان آخر

لا يمت إليه بصلة مطلقا ، إنما هو موجه كذلك إلى حريته . ولكن هذا الشعور لا يتولد مطلقا إلا إذا تدخلت فكرة الايثار ، وارتبطت تأثيرها بالآثرة . إن الإنسان لا يستطيع أن يحقق فكرة العدالة والشعور بها ، إلا إذا كان قادرا على مشاركة الآخرين هذا الشعور ، وأن يرغب لهم الحرية التي يدعيها لنفسه . وإذا كان هذا الإنسان يرغب في العيش منفردا عن الناس ، وإذا كان يريد أن يقطع بإرادته كل ما يربطه بالمجتمع ، فإن شعورا من المشاركة الوجدانية يدفعه إلى أن يطلب حق الاستقلال التام حتى لأولئك الذين يخالفونه ، وتبدو مخالفتهم له بواسطة سلوك مخالف لسلوكه . وعلى العموم يجب على الإنسان إذن لكي تبدو فيه فكرة العدالة في أوضح صورها حتى يدرك بنفسه قيمة السعادة والفضيلة ، أن يطلب للناس الحرية في الرأي بقدر ما يطلبها لنفسه . وأولئك الذين يرون في إيثار أنفسهم بشيء ، ظلمنا بينا ، وهم يعلمون أن كثيرين قد حرّموا منه ، إنما هو أول توجه نحو العدالة في معناها المجرد . وقد صور القرآن العظيم هذا المعنى الإيثاري في صورة أسمى وأروع « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان هم خصاصة » . وإذا كانت الإنسانية لم تر صورة مجردة للإيثار ، أعظم من تلك الصورة الإلهية ، فإنها لم تجد تطبيقا لتلك الصورة المجردة إلا لدى البشريين (١) ، تطبيقا رأيا تقصر دونه الأجيال على مختلف الدهور .

وقد أظهر لنا التاريخ أن تقدم الايثار ونموه كان من الشروط الضرورية التي تحقق تقدم فكرة العدالة ، بل إن في كثير من المجتمعات تتوجه الطبقة الحاكمة بدافع المشاركة الوجدانية إلى الطبقة المحكومة ، وتشعر شعورا نفسيا دقيقا بما تقاسيه هذه الطبقة من آلام ، فتتخلى عن بعض الحقوق التي كانت ترفض أن تسلم بها المحكومين . ويرى Wacob أنه « إذا كانت الاشتراكية الحديثة تحاول أن تقيم الحقوق التي تدعيها للطبقة الفقيرة على مبادئ علمية محضة وتسخر من الاشتراكية المثالية ، فإن ذلك إنما نشأ عن جهل بطبيعة تلك الحقوق . إن ما أوحى إلى الاشتراكيين المثاليين التفكير في تلك الحقوق الإنسانية هي عواطف إيثارية ، ولذلك كان مذهبهم عاطفيا بحتا ، فكأنه يخاطب قلوب الذين لهم إرادة خيرة حين يطلب تمهيد « حياة إنسانية حقة » للطبقة الفقيرة . إذاً قد رأينا أن فكرة العدالة تعتمد إلى حد كبير على الآثرة التي تطلب للفرد أكبر حرية ممكنة ، وعلى الايثار الذي يحقق للجماعة حرية مساوية .

ولكن لا ينبغي أن ننسى أن العدالة إن كانت تنبئ أول ما تنبئ نحو العاطفة البهجة فليست هي كلها عاطفة حسية أو مجموعة من الدوافع الحسية ، بل لابد أن يدعمها عنصر غير عاطفي هو العقل .

(١) المراد أهل يثرب وهي مدينة الرسول .

ماجستير في الفلسفة

محمود سامي البارودي

زعيم النهضة الشعرية الحديثة

ندع الحديث عن الآثار التي نشأت عن فتح العثمانيين لمصر ، وتجريدها من كل مزايا الحضارة والثقافة ، والأدب والفن ، وغير ذلك ؛ وعن انحسارها بخطى فسيحة الى هاوية الاسفاف والانحطاط في كل حلية عقلية أو عاطفية أو عمرانية أو خلقية ؛ وعما أثاره الغزو الفرنسي في أخريات هذه الفترة من تنبيه أذهان المصريين وعقولهم وعواطفهم من سباتها العميق .

ندع ذلك كله الى المختصرات والمذكرات الأدبية والتاريخية المتداولة بين طلاب العلوم في مختلف المعاهد والمدارس مما هو معروف مشهور . من الفضول أن يفصل في مثل هذا الموقف الفحل الذي لا ينفق فيه إلا البحث العميق ، والأفكار التي تسفر عن حقائق جديدة ، وأحكام أقرب الى الحسم ومقطع الرأي ومعتزك خول الناقدين ؛ ونعمد إلى صميم موضوعنا من أخصر طريق ، نشدانا لهذا المطلب الشريف والغرض المروم الذي أرجو من الله أن يؤيدني فيه بروح من عنده ، فهو ولي التوفيق ، وهو المستعان .

محمود سامي البارودي

نسبه ونشأته :

لا يحيص لنا عن التعريف بالبارودي في إجمال يقضى به موقفنا هذا نزولا على هذا الرأي الإجماعي عند النقاد المحدثين ، من أن الطريق المتعين للوصول الى فهم آثار الأديب النثرية أو الشعرية هو الإلمام بنشأته وتاريخ حياته والعوامل التي اجتمعت له حتى أثمر ذلك الثمر ؛ ثم تطبيق شعره على حياته ليحكم له بأن أثره الأدبي يمثل لحياته أو غير ممثل .

محمود سامي البارودي : هو محمود سامي بن حسن بك حسني مدير دنقله وبربر في عهد المرحوم محمد علي باشا ، وهو يمت الى أصل شركسي ، ولكن مصر هي مولده ومنشؤه ، وقد رزى في أبيه وهو في سن السابعة من عمره ، فكفله بعض أهله وأدخلوه المدرسة الحزبية ، وتخرج فيها ضابطا ، ثم أخذ يترقى في سلك الجيش ، وشارك في حرب الروس وفي إخماد ثورة أفريطن (كريت) على الدولة العثمانية ، ثم تحول الى المناصب الادارية فكان مديرا للشرقية ، ثم رئيسا للضبطية ، ثم ناظرا للأوقاف ، ثم لها وللجهادية ، ثم رئيسا لمجلس النظار قبيل الثورة العربية التي أعقبتها الاحتلال الانجليزي لمصر فالتقبض على زعمائها وهو منهم ، فحوكم ونفى الى « سرنديب » ولبت في منفاه زهاء سبع عشرة سنة ، ثم طاد الى الوطن كليل البصر ، ولم تطل أيامه فيه بعد هذه العودة ، فقضى رحمه الله سنة ١٣٢٢ هـ

من هذا الالمام اليسير ندرك أن البارودي كان عريق البيت بنسبه الجركسى الذى كان يعصمهم بهم أوفى في زعامة البلاد عهدئذ، وأنه ربي يتيمًا، واليتم يشجذ العزائم ويسرع في تربية الملكات وتكوين الحياة الاستقلالية والحركات الارادية التى تنتهى الى الحرية والطموح؛ وأنه نشئ تنشئة حربية عاصفة ساور فيها وبعدها الخطوب والسيوف والخوف، وهذه التنشئة ملهبة ومنمية لتلك الحلال التى بذرها اليتيم في نفسه؛ ثم منحه الله موهبة الفطرة الشاعرة؛ فتظاهرت هذه العوامل مشتركة على أن تخرج منه رب السيف ورب القلم، وأن تزين مصر منه بشخصية فذة ممتازة خارقة لعادة عصره سابقة لذلك الزمان سبق الجواد إذا استولى على الأمد؛ وكانت هذه الشخصية التى بذت اللاحقين وأحملت السابقين، وأنقذت الشعر من الصناعة السقيمة والتكلف المعقيم، وردته إلى صدق الفطرة وسلامة التعبير، هى شخصية:

محمود سامى البارودي زعيم النهضة الشعرية الحديثة

الشعر: فن من الفنون الجميلة، أو بتعبير عربي أفضل: الآداب الرفيعة التى تلتقى كلها في تصوير الجمال في صورة موقنة حية في نظر العين أو في النفس والماطقة؛ والفنون جميعا تعتمد الموهبة الفطرية التى تولد مع الانسان وتنطوى في غرائزه الخلقية التى لا يد للصنعة فيها، وإنما للعوامل الخارجية فيها أثر الثقيف والتشذيب، والتوجيه والتربية؛ فلا بد للشاعر إذن من الموهبة، ولا بد له معها من المنقفات والموجهات؛ فاذا عرفنا مما أسلفنا الإشارة اليه أن ولعه بالشعر صحب عهد صباه، ثم سارت به التربية في طريق يعين هذه الموهبة ويظهرها، كدنا نجزم بأن شاعرنا هذا قد تعاق من الشعر بسببيه، وضرب فيه بسهميه.

أصاب الشعر في عهد العثمانيين من الركود، ثم الانحلال، ثم الاسفاف، ما أصاب غيره من سائر العلوم والفنون والصناعات في مصر، فأخذ ينحدر من ذروة مكانته التى كانت له في عهد المماليك الى أن وصل في آخر عهد العثمانيين الى حالة جعلته يضطرب في ألفاظ ميته بذية، ويتعثر في أساليب تصقلها الحلى البديعية التى تمثلها حلى (شركة الجمل للمصوغات مثلا) أو (الماس بيرا) « يأخذه الناظر جوهرًا ويلقيه حجرا » (قال هذه الجملة المرحوم لطفى المنفلوطى في شعر إمام العبد) حلى تناقلت عليه حتى أماتت فيه كل معنى شريف، ولم تترك فيه إلا زماء لا يكاد يستحق الحياة، وفي أغراض محدودة ضيقة، واهنة متخلقة، كتهنئة بمولود أو بمنصب أو وصف بعض التوافه، أو مدح بعض الأعيان والشيوخ، وفي أحيان كثيرة في الغزل العاهر سخيف التعبيرات والمعاني، فأما الخيال فالعفاء على الخيال (وقد أتى الجبرتي بأمثلة كثيرة من هذا تؤيد ما نقول).

حتى إذا من الله برجل النهضة، وعاهل مصر الحديثة، ومجدد شبابها بعد أن أوفت على

الهرم « محمد علي باشا رأس الأسرة المالكة العظيمة » ووضع أسس الحضارة المصرية، والنهضة المصرية الحديثة، وجه فورة إصلاحه إلى ما يتصل من قريب أو من بعيد بالجيش المصري، واستمتع ذلك عوامل كانت هي الدعائم الأولى لأن تسير النهضة الأدبية على آثار النهضة العلمية فتلاحقها وتقفوها؛ فقد أنشأ مطبعة، وجعل التعليم باللغة العربية، وعنى بترجمة العلوم إليها، وأنشأ صحيفة، وبعث البعث إلى أوروبا تنهل علومها المختلفة، وثقف آدابها وفنونها المتنوعة. فكانت كل هذه العوامل مستتبعة للحركة اللغوية والأدبية؛ إذ لا يخفى ما للدراسة العلوم بالعربية والترجمة إليها والمطابع والصحف من الآثار الفعالة في حياة الأدب والشعر؛ ولذلك سارت العلوم في طريق النهوض سيرا حثيثا، ودب خلفها الأدب دبيبا خفيفا، إلا أنه حركة مباركة على كل حال، وبأكورة طيبة نوات بعدها الثمرات.

حتى إذا ولي مصر حفيده اسماعيل « جـد فاروقنا العظيم » وكان يحمل في طوايا نفسه آمال جده محمد علي باشا، من فكرة الجامعة العربية، انبعث للشعر والأدب في عهده عصر جديد هو الذي يعتبر بحق (عصر النهضة الشعرية الحديثة).

سبق البارودي إلى غرض التجديد في الشعر ومحاولة النهوض به بانصاف معانيه من ألفاظه، وبتخفيف بعض الحلى التي أثقلته - كما قلنا آنفا - عنه، وبتضمينه بعض المعاني الشريفة، شعراء، نذكر من أولئك: الشيخ رفاعه الطهطاوي، المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ فإنه على أثر عودته من البعثة الفرنسية التي كان محمد علي صاحب الفضل فيها، حاول إدخال نوع جديد في الشعر المصري حاكى به بعض الشعراء الفرنسيين إذ نقل قصيدة « المارسييز » الفرنسية إلى العربية في شعر تصرف فيه بعض التصرف حيث قال:

فهب يا بني الأوطان هيا فوقت نفاكم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا ملها

عليكم بالسلام أيا أهالي ونظم صفوفكم مثل اللاكي
وخوضوا في دماء أولى الوبال فهم أعداؤكم في كل حال
وجودكم غدا فيكم جليا

فإذا تبتغي منا الجنود وهم جمع وأخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوفود كذا ملك بغى لم يسودوا
نمصبهم لنا لم يجد شيئا

وقد خلط في طريقة نظمها بين المربع والخمس أو المسط.

وجرى على هذا المنوال في نظم أناشيد وطنية، ومدائح لحكام مصر تغنى فيها بمجد البلاد. منها ما قاله بمدح سعيد باشا الخديوي:

بشرى لمصر سمعدها بالعر لاح وسميدها بالفوز ساعده الفلاح
أبناء مصر نحن موطننا أصيل حسب عريق زانه مجسد أثيل

ونذكر منهم: الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ الذي كان من محرري الوقائع المصرية ثم آلت إليه مشيخة الأزهر، فأن له ما يصح أن يسمى شعراء، كما لصديقه الخشاب كذلك. فن شعر العطار يتغزل:

أعن المحب ثناك عنه وجيبه أم قد دعاك الى البعاد رقيب
هجر الكرى لما هجرت وواصله شجونه وازداد فيك نحيب
لم يجن ذنبا في هواك وإنما قد كان بالهجران منك نصيب
أفقرته من حسن وصلك بعدما جادت عليك دموعه ونصيب

ونذكر منهم محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ الذي يعتبر بحق برزخا بين النظامين والشعراء، أو طليعة لنهضة الشعر الحديث، فقد ارتفع بأجود شعره الى طبقة انفرد بها في ذلك العهد، ومن شعره مدحة نبوية أتى فيها على مائة وخمسين نوطا من البديع استلهاها بقوله:

سفع الدموع لذكر السفع والعلم أبدى البراعة في استهلاله بدم

على أن هذه البديعية زعة غلبت عليه من روح العصر على الرغم من نعيه على شعراء عصره مجاريا أبانواس فيما نعا على شعراء عصره، إلا أن ذلك ينمى عليهم ذكر الاطلال والدمن، فأما هذا فقد سماه النجاة وبكنهم بقوله:

فدعنى من قول النجاة فأنهم تعدوا صرف النطق من غير لازم
إذا أنا أحكت المعانى خفضتهم وأرفعها قهرا بقسوة جازم
وما أنا إلا شاعر ذو طبيعة ولست بسراق كبعض الأعاجم

ونرى أن طبيعة العصر قد وقفت دون دعواه أنه شاعر ذو طبيعة، إذ أنه استخدم في هذه الأبيات المصطلحات العلمية، من صرف، وخفض، ورفع، وجزم، وهذه هي سمة العصر وطبيعته؛ إلا أن من أجود شعره ما قاله في رثاء الشيخ حسن قويدر:

ياشمس فضل فدتك الشهب قاطبة إذ عنك لا أنجم تغنى ولا شهب
لما أصابك، لا قوس ولا وتر، مهم المنية كاد الكون ينقلب
ما حيلة العبد والأقدار جارية العمر يوهب والأيام تنتهب

نذكر هؤلاء ونستطيع أن نذكر غيرهم ممن نلحج بين جداول قريضهم نفحة من التجديد وبصيصا من النهوض بالشعر، إلا أنهم جميعا درجوا بالشعر في المدارج الأرضية، فأما محمود سامي البارودي فقد طار به طيرانا في أعناء السماء.

اصم موسى

بتخصص المادة - شعبة البلاغة .

بلاغة عبد القاهر

— ٤ —

عبد القاهر والجاحظ :

وعبد القاهر ينقل عن الجاحظ في باب حذف المفعول عند بيان الجمال في بيت البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً .

فيقول في دلائل الإعجاز (ص ١٣٠) : ويبين هذا كلام ذكره أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وأنا أكتب لك هذا الفصل حتى يستبين الذي هو المراد ، قال - يعنى الجاحظ - : والسنة في خطبة الشكاح أن يطيل الخطيب ويقصر المجيب ، ألا ترى أن قيس بن خزيمة لما ضرب بسيفه مؤخرة راحلة الحاملين في شأن حمالة داحس وقال : ما لي فيها أيها المشمتان ؟ قال بل ما عندك ؟ قال : عندي قرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب ، أمر فيها بالتواصل وأنهى عن التقاطع . قالوا نخطب يوماً إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى . فقيل لأبي يعقوب : هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع ؟ أو ليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة ؟ قال : أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإيضاح والتكشيف ؟ اه قال عبد القاهر : فقد بصرك هذا أن لن يكون إيقاع نفي الوجود على صريح لفظ المثل كإيقاعه على ضميمه .

وفي كتابي عبد القاهر نقول كثيرة عن الجاحظ في البيان وغيره ، ولولا خوف الإطالة لأوردتها كلها ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله

أما بعد : فإنه ليروقني في هذا المقام صنيع أبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين واعترافه بما كثر الجاحظ حيث قال في ص ٥ من كتابه : فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنبيل ، ووجدت الحاجة إليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمرى كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة والأخبار البارة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنقشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير اه وتلك أمانة يغبط عليها أمثال أبي هلال ، وحبذا لو استنها العلماء واشتروها .

على حين نرى قدامة بن جعفر المنوفى سنة ٣٣٧ هـ كما يقول ياقوت فى معجمه يقول فى مقدمة كتابه نقد البثر : وأما بعد فإليك ذكرت لى وفوفك على كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذى سماه كتاب (البيان والتبيين) وأنتك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا منتخلة وخطبا منتخبة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ولا أتى لى أقسامه فى هذا اللسان ، وكان عند ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذى نسب اليه . ا هـ والواقع أن قدامة ظلم الجاحظ ونقصه حقه ، لآنا نعتقد بعد رؤية البيان أن كتاب الجاحظ أجدى فى البيان العربى من كتاب قدامة ، على ما للسابق من العذر فى التقصير ، واللاحق من التجويد والتجوير .

(٧) عبد القاهر والمبرد :

نقل عبد القاهر عن المبرد فى مبحث الاستعارة القريبة من الحقيقة (ص ٤٥ أسرار) قال : ومن اللائق بهذا الباب البين أمره ما أنشده أبو العباس فى الكامل من قول الشاعر :

لم تلق قوما هم شر لآخوتهم منا عشية يجرى بالدم الوادى
تقرهم لهذميات نقدت بها ما كان خاط عليهم كل زراد

قال (يعنى أبا العباس) : لأن الخياطة تضم خرق القميص والزراد يضم حلق الدروع . ثم قال عبد القاهر بعد : أفلا تراه بين أن جنسهما واحد وأن كلا منهما ضم ووصل ؟ ونقل عنه عن طريق ابن الأنبارى فى قوله (ص ٢٤٢ دلائل) تحت عنوان فصل فى مبحث النظم ومواقع أن : واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصده أن هاهنا فروقا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة ، ليس أنهم يجهلون فى موضع ويعرفونها فى آخر ، بل لا يدرون أنها هى ولا يعلمونها فى جملة ولا تفصيل . روى عن ابن الأنبارى أنه قال : ركب السكندى المتفلسف إلى أبى العباس (ويخيل إلى أن « المتفلسف هنا » بمثابة العزيز الكريم فى قول الله تعالى لفرعون : ذق إنك أنت العزيز الكريم) وقال له : إني لأجد فى كلام العرب حشوا ، فقال له أبو العباس : فى أى موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعانى مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقو لهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقو لهم : إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقو لهم : إن عبد الله قائم جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعانى . قال فما أثار الفيلسوف جوابا . ويظهر أن عبد القاهر لم يجد فى بضاعة أبى العباس ما يذشه ، لأن نزعة أبى العباس تميل إلى النحو والاعراب أكثر منها إلى البلاغة والبيان ، فلذا قات : نقوله عنه ونذر تأثره إياه .

(٨) عبد القاهر والآمدى :

القاهر حين عرضه لشرح الاستعارة بالمعنى الثانى (ص ٣٤ أسرار) وهى الاستعارة

التي سماها المتأخرون مكنية إلى قول الآمدى على لسان صاحب أبي تمام (ص ٦ موازنه) :
وقال زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله
فجعل للهوى أفراسا ورواحل . وقال لبيد الجمعى :

وغداة ربح قد كشفت وفرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للغداة بدا وللشمال زماما . وقوله (ص ١١٤ موازنه) : وكذلك قول زهير : وعرى
أفراس الصبا ورواحله : لما كان شأن ذى الصبا أن يوصف أبداً يقال ركب هواه وجرى
فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا ، حسن أن يستعار للصبا اسم الأفراس وأن يجعل التروع
عنه أن تمرى أفراسه ورواحله ، وكانت هذه الاستعارة أيضاً من أليق شىء بما استعيرت
له ، فإذا جاء عبد القاهر فى دلائل الإعجاز (ص ٥٣) وقال : وإذ قلت : إذ أصبحت بيد الشمال
زمامها فقد ادعت أن للشمال بدا ومعلوم أنه لا يكون للريح يد . فهو لم يزد على ما قال الآمدى
شيئاً . ونستطيع أن نقول إن عبد القاهر أخذ قوله فى أسرار البلاغة (ص ١٣٠) فى شرط
الجمع بين المختلفين فى التمثيل : واعلم أنى لست أقول لك إنك متى ألفت الشىء بعبء عنه فى
الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسن ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن
تصيب بين المختلفين فى الجنس وفى ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف
السوى بينهما مذهبا وإليهما سبيلا ، وحسن يكون اثنتاهما الذى يوجب تأليفك من حيث
العقل والحدس فى وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم
أن تصوره حيث لا يتصور فلا ، لأنك تكون فى ذلك بمنزلة الصانع الآخرق يضع فى تأليفه
وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمان ولا يقبلانه حتى تخرج الصورة مضطربة ونجس ، فيها
نتو ، يكون للعين عنها من تفاوتها نبو ، وإنما قيل شبهت ولا تعنى فى كونك مشبها أن تذكر
حرف التشبيه أو تستعير ، إنما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتبينه ، ولا يمكنك بيان
مالا يكون وتمثيل مالا تتمثله الأوهام أو الظنون . نعم نستطيع أن نقول إنه أخذه من قول
صاحب الموازنة فى كتابه (ص ١١٤) : وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذ كان يقاربه
أو يدانيه أو يشبهه فى بعض أحواله ، فتسكون اللفظة المستعارة حينئذ لا ثقة بالشىء الذى
استعيرت له اه . وقد استفاد عبد القاهر من قول الآمدى فى كتابه (ص ١٥) : وهى هذا فى
كلام العرب مما ينوب الشىء عن الشىء إذا كان متصلا به أو سببا من أسبابه أو مجاورا له
كثير ، فمن ذلك قولهم المطر سماء ، ومنه قولهم مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، كما قال الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

يريد إذا سقط المطر رعيناه ، يريد رعيننا النبات الذى يكون عنه ، ولهذا سمي النبات ندى
لأنه عن الندى يكون ، وقالوا : مابه طرق أى مابه قوة ، والطرق الشحم ، فوضعوه موضع القوة

لأن القوة عنه تكون ، وقولهم للمزادة راوية وإنما الراوية البعير الذي يسقى عليه الماء ، فسمى الوعاء الذي يحمله باسمه ، ومن ذلك الحفض متاع البيت ، فسمى البعير الذي يحمله ، حفضا ، الى أن قال : وهذا باب واسع وأيسر من أن يحتاج الى استقصائه .

وإذا كان الآمدى يطلق على أمثال هذا اسم الاستعارة بمعنى النقل فعبد القاهر يسميه أيضا استعارة ، لكنه يزيد غير المفيدة ، وهي زيادة في معايير العلم طفيفة ليس لعبد القاهر أن يتبجح بها . وقد نقل عبد القاهر عن الآمدى كثيرا غير ما ذكرنا يعرفه من يقرأ كتابيه ويتصفحهما بأمعان ، وإنه لينقل عنه في بعض الأحايين فصولا بجملتها كما فعل في أسرار البلاغة ص ٣٢٩ ، ٣٥٠

رباض هزل تخصص المادة

هل كان أبو بكر شاعرا

لما قتل أمية بن خلف أحد طوائف الجاهلية في معركة بدر ، وقد كان يسوم بلالا الحبشى عذابا مرًا ، وهو إذ ذاك مملوكه ، وكان قد أسلم ، فكان يخرج به إلى الرمضاء ، وهي الحصيات التي لفحتها الشمس فجعلتها كقطع الجمر ، فيضجعه عليها ويبقى عليه صخرة عظيمة ليثبت عليها . كان ذلك كله من أمية بن خلف ليخرج بلال عن الاسلام ويعود إلى الوثنية . فكان بلال لا يبالي بهذا العذاب كله ، وبهزأ به ، منتظرا إحدى الحسنين : إما أن يموت شهيدا ، وإما أن ينصر الله الاسلام فيستخلصه المسلمون من يد ذلك الوحش الضاري . وقد أدركه الله بنصر المسلمين فأنقذوه ، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه فنال حظه عنده من كرامة الاسلام ، حتى أن النبي عينه مرة واليا على المدينة وفيها كبار الرجال . فكان هذا العمل المثل الأعلى للديمقراطية ، لايمائته غيره في تاريخ البشر إلى اليوم .

فيروى أنه لما قتل أمية بن خلف قال أبو بكر يهني بلالا :

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت ثأرك يا بلال
فلا نكسا وُجِدْتَ ولا جبانًا غداة تنوشك الاسل الطوال
إذا هاب الرجال ثبت حتى تخالط أنت ماهاب الرجال
على مضض الكوم بمشرقي جلا أطراف متنيه الصقال

ونحن نستبعد أن يكون لأبي بكر شعر ، وأن يكون هذا من شعره ، فانه فضلا عن أن

... المراد ، ، فان فيه ركاكة لاتناسب لغة العرب الخالص

لأن القوة عنه تكون ، وقولهم للمزادة راوية وإنما الراوية البعير الذي يسقى عليه الماء ، فسمى الوعاء الذي يحمله باسمه ، ومن ذلك الحفض متاع البيت ، فسمى البعير الذي يحمله ، حفضا ، الى أن قال : وهذا باب واسع وأيسر من أن يحتاج الى استقصائه .

وإذا كان الآمدى يطلق على أمثال هذا اسم الاستعارة بمعنى النقل فعبد القاهر يسميه أيضا استعارة ، لكنه يزيد غير المفيدة ، وهي زيادة في معايير العلم طفيفة ليس لعبد القاهر أن يتبجح بها . وقد نقل عبد القاهر عن الآمدى كثيرا غير ما ذكرنا يعرفه من يقرأ كتابيه ويتصفحهما بأمعان ، وإنه لينقل عنه في بعض الأحايين فصولا بجملتها كما فعل في أسرار البلاغة ص ٣٢٩ ، ٣٥٠

رباض هزل تخصص المادة

هل كان أبو بكر شاعرا

لما قتل أمية بن خلف أحد طوائف الجاهلية في معركة بدر ، وقد كان يسوم بلالا الحبشى عذابا مرًا ، وهو إذ ذاك مملوكه ، وكان قد أسلم ، فكان يخرج به إلى الرمضاء ، وهي الحصيات التي لفحتها الشمس فجعلتها كقطع الجمر ، فيضجعه عليها ويبقى عليه صخرة عظيمة ليثبت عليها . كان ذلك كله من أمية بن خلف ليخرج بلال عن الاسلام ويعود إلى الوثنية . فكان بلال لا يبالي بهذا العذاب كله ، وبهزأ به ، منتظرا إحدى الحسنين : إما أن يموت شهيدا ، وإما أن ينصر الله الاسلام فيستخلصه المسلمون من يد ذلك الوحش الضاري . وقد أدركه الله بنصر المسلمين فأنقذوه ، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه فنال حظه عنده من كرامة الاسلام ، حتى أن النبي عينه مرة واليا على المدينة وفيها كبار الرجال . فكان هذا العمل المثل الأعلى للديمقراطية ، لايمائته غيره في تاريخ البشر إلى اليوم .

فيروى أنه لما قتل أمية بن خلف قال أبو بكر يهني بلالا :

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت ثأرك يا بلال
فلا نكسا وُجِدْتَ ولا جبانًا غداة تنوشك الاسل الطوال
إذا هاب الرجال ثبت حتى تخالط أنت ماهاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرقي جلا أطراف متنيه الصقال

ونحن نستبعد أن يكون لأبي بكر شعر ، وأن يكون هذا من شعره ، فانه فضلا عن أن

... المراد ، ، فان فيه ركاكة لاتناسب لغة العرب الخالص

تحقيقات

قُلْ أن يقرأ الباحث المدقق كتاباً فلا يجد فيه أخطاء قد تكون ذات خطر أحيانا وقد تكون من الهنات الهيئات أحيانا أخرى ، ولكن كثيرين منهم من يمر بهذه الأخطاء ويقف عندها قصيرا أو طويلا ثم يهملها فتشكون سببا في عثرات أقلام ناشئة ، بل ربما تعثر فيها من أطال السير وعرف السرى ، لذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمات لمجلة الأزهر ، وليكون ذلك فتحا لباب جديد في هذه المجلة التي قامت على حفظ اللغة والدين ، والتي تتوج باسم أكبر جامعة إسلامية في العالم ، والتي يديرها رجل عرف بمجاهده الطويل في نصره اللغة والاسلام ، فخير به هذه المجلة أن تكون عوناً للباحثين على تنقية كتبنا من الشوائب ، والله الهادي الى سواء السبيل .

— ١ —

قال ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » عن زهير : « هو زهير بن ربيعة بن قرة ، والناس ينسبونه الى مزينة وإنما نسبه في غطفان ، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه الى مزينة إلا بيت كعب بن زهير :

هم الاصل منى حيث كنت وإننى من المزينين المصنفين بالكرم

وهذا كلام فيه غلطتان :

(فأولا) أن زهيراً من مزينة ، ودليلنا على ذلك أن المؤلفين الذين جاءوا بعد ابن قتيبة كصاحب الأغاني وكالأمدي في كتابه « المؤلف والمختلف » وكصاحب العقد الفريد يرون أنه من مزينة ، وقد اعترف ابن قتيبة بأن الناس قبله وفي عصره ينسبونه الى مزينة ، وقد روى أن معاوية بن أبي سفيان (رضى الله عنه) كان يفضل مزينة في الشعر ويقول : كان شاعر أهل الجاهلية منهم ، وهو زهير ، وشاعرا أهل الاسلام منهم وهما معن بن أوس وكعب بن زهير . (وثانيا) أن لهم شعرا غير هذا البيت ينتمون فيه الى مزينة (ولعل ما حمل ابن قتيبة على رأيه هو عدم وجود شعر آخر ينتسبون فيه إليها) قال كعب :

متى أدع في « أوس » « وعثمان » تأتني مَسَاعِيرُ قَوْمٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ دَعَمَ

هَمُّ الْأَسَدِ عِنْدَ الْبَاسِ وَالْحُشْدُ فِي الْقَرْيِ وَهَمٌّ عِنْدَ عَقْدِ الْجَارِ يَوْفُونَ بِالْذَمِّ

ويبدو واضحا أن هذين البيتين تبع لهذا البيت وإن لم أر ذلك فيما اطلعت عليه من الكتب . ومزينة أم عثمان وهي مزينة بنت وبرة ، كما جاء في العقد ، وفي المؤلف والمختلف للآمدي

وفي معجم الشعراء للبرزباني . وقد كان لهذا الخطأ في « الشعر والشعراء » أثر سيء في بعض الكتب ؛ فالسكاتب الكبير جورجى زيدان يقول في موضع من كتابه تاريخ آداب العرب يذكر قيساً : « وقد نبغ منهم جماعة من خول الشعراء ، فمنهم النابغة بن زهير بن أبي سلمى وكعب ابنه » . ويقول في موضع آخر : « ومن شعراء تميم المشهورين أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه ، وكلاهما من قيس » . ثم يأتي ويترجم لزهير فيكون واضحاً في نسبة زهير إلى مزينة ، فلا جامع بين كلاميه لأن مزينة ليست من قيس كما هو معروف . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فأقول : إن « زيدان » أخطأ خطأ آخر ، وذلك أنه ذكر أن زهيراً توفي في سنة ٦٣١ م ، وهذا التاريخ يوافق السنة العاشرة للهجرة تقريباً ، والذي عليه السكاتب أن زهيراً لم يدرك الإسلام ، وأنه مات قبل البعثة بسنة واحدة .

— ٢ —

ذكر ابن قتيبة في ترجمة « ضاني البرجمي » أنه استعار كلباً من بعض بني جرول فاما أخذه منه قال شعراً رمى فيه أمهم بالكب ، فاستمدوا عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسه ، وقال : والله لو أن رسول الله حي لأحسبته نزل فيك قرآن ، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكب قبلك . قال ابن قتيبة « ومثل هذا قول زهير وقد رمى قوماً بفحل إبل حبسوه عليه »

وكان أستاذنا حامد مصطفى الأستاذ بكلية اللغة العربية نبهنا إلى أن في الأغاني غير هذا . وقد رجعت إلى الأغاني فوجدت أبياتاً أربعة أولها هذا البيت :

تعلم أن شر الناس حي يسادى في رحاهم يسار

و « يسار » هذا غلام زهير ، فيكون زهير قد رماهم بغلام لا بفحل إبل ، على أني أرجح أن هذا الشعر ليس لزهير ، فإن الرجل كان عفاً ، وكان الرواة يفضلونه بأنه أبعد الشعراء عن سخف ، وقد أخذ يساراً الخارث بن ورقاء فقال زهير يعاتبه ويتوعده ، وليس في القصيدة أي إفداع أو إخاش ، وقد ذكروا أن زهير قصيدة في الهجاء وهي واحدة كما في كتاب الأدب العربي للأستاذ هاشم عطيه . وفي الأغاني أن زهيراً كان يقول عن هذه القصيدة « ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بمقوبة لهجائي قوما ظلمتهم » . على أنه ليس في القصيدة ما يصل إلى ما وصل إليه الشعراء المقذعون ، ونظن أن غاية ما كان يمكن أن يصل إليه زهير في الهجاء أن يقول :

وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء ؟

— ٣ —

وللمجلة المجمع اللغوي مكانة في أبحاثنا اللغوية ، وكثيرون يعتمدون عليها ، فلا علينا إن نصصنا على شيء مما نجد فيها من أخطاء :

في العدد الرابع للعالم الفاضل الشيخ محمد الطاهر بحث عنوانه « المترادف في اللغة العربية » وفيه هذه الأخطاء :

(١) في صفحة ٢٦٤ هذه العبارة : « إذ لا يجتمع في الشعر العربي حرفان ساكنان » ، وهذه العبارة : « فلا يصح بحال وقوع كلمة في الشعر تشتمل على ساكنين » . وهذا الحكم ليس مسلماً على إطلاقه ، ولبيان وجه الصواب فيه ، ننقل هنا قولاً جاء في كتاب الكامل للمبرد : « وحارثة مما لا يجوز أن يحتج عليه بببيت شعر ، لأن كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضرب منه يقال له المتقارب ، فانه يجوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القصاص وكان النقص فرضاً وحتماً على المسامينا
ولو قال وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ، ولا نظير له في غيرها من الأعارض .
(ب) في صفحة ٢٦٥ هذا البيت :

تلقت نحو الحى حتى وجدتنى وجمعت من الأصغاء لبنا واخذنا
منسوبا الى محمد بن بشير ، وهو في الحاشية للصمة بن عبد الله ، وقد نسبته الأستاذ الإمام في شرح دلائل الإعجاز الى الصمة هذا ، ووافقه المرحوم السيد رشيد رضا .
وفي الصفحة نفسها هذا البيت :

يادهر قومٌ أخدعك فقد أضججت هذا الأنام من خُرفك
منسوبا الى البحترى ، وهو لأبى تمام من قصيدته التى يمدح بها محمد بن الهيثم ومطامها :
قد مات محل الزمان من فرقك واكتن أهل الإعدام فى ورقك
وهى فى ديوانه وفيها البيت مـ

على محمد مـ

مخصص التدريس بكلية اللغة العربية

من كلام عثمان

لما صعد عثمان المنبر بعد انتخابه للخلافة أرتج عليه ، قال : أيها الناس سيجعل الله بمد عسر يسرا ، وبعد عى بيانا ، وأنتم الى إمام فمال أحوج منكم الى إمام قوال . ثم نزل .
أرتج بمعنى أقفل : أى أقفل دونه باب الكلام ، والعامية يقرءونها ارتج خطأ . وقد حدث هذا لكثير من كبار الخطباء ، ومن التوفيق أن يلهم عثمان رضى الله عنه كلمة تساوى فى جلالها خطبة مطولة ، وهى قوله : « أنتم الى إمام فمال أحوج منكم الى إمام قوال » فإذا تفيد الأمة الخطب المغلطة إذا كان لا يلها عمل ، وإن عملا بلا كلام خير ألف مرة من كلام بلا عمل .

في ذكرى مولد النبي

أقيمت في حفلة أقامتها كلية أصول الدين بمناسبة هذه الذكرى المجيدة ،
نسخ يردها وأنشدتها فضيلة الأستاذ الفضال محمد مختار سليمان مدير المدرس
بكلية أصول الدين ، وهي تبلغ نحو مائة وسبعين بيتاً فتلطف منها ما تيسر لنا
نشره منها وعذرنا واضح .

قال في مطلعها :

قد هل والدنيا اليه تطلع قرر له في أفق مكة مطلع
سطعت على الآفاق طلعه التي وضح الطريق بها وبان المهيع
وافى به شهر الربيع مباركا مثل الربيع أتى العفاة فأثروا
فالارض ضاحكة غداة ولاده والروض مخضر الجوانب ممرع

يا مصطفى للعرب قد بوأتها في الخافقين مسكنة لا تفرع
عاشت قبائلها تناحر حقبة وتكاد من غيظ القلوب تمزق
فظهرت فيهم يا محمد داعيا للحق تستهوى القلوب وتجمع
حتى غدوا بعد التفرق إخوة في الله لا خصم ولا متشيع
إن العظيم إذا أتيج لامة ظهرت عباقرها وهب الهجع
المجد ياخير الانام لدولة أسستها كالطود بل هي أفرع

يا مصطفى ياخير من وطى الثرى وأجل من لجلال ربك بخشع
لم يخلق الرحمن قبلك سيدا أو مرسل إلا وقدرك أرفع
ملكك محاسنك القلوب فأصبحت مثل البنان لديك بل هي أطوع
ماذا يضير المسلمين لو أنهم طرحوا التفرق جانبا وتجمعوا
هل كان في عهد النبي تفرق أم ذاك أمر بعده مستبعد
عودوا الى الاسلام يا أبناءه إن اتحادكم قسوى لا تخنع
في مولد المختار حانت فرصة فادعوا لمؤتمر الوفاق وأجمعوا
وتجنبوا ضغن القلوب وأخلصوا لله يرأب صدعكم ويجمع
وتحفكم من فيض أحمد نقحة في عياده تنهى الخلاف وتقطع
إني لأرتقب النجاح بليلة أنواره فيها أشع وتسطع
هي ليلة الميلاد أسفر صبحها عن نير بسنا الهداية يلمع
لازلت ياخير الليلالى للهدى ذكرى على طول المدى تتضوع

احتفال الأزهر

بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام يرأس الاحتفال

ويلقى كلمة يحى فيها هذا العيد المبارك

احتفل الأزهر المعمور بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى مساء الأربعاء الموافق ٥ من مايو سنة ١٩٤٣ ، فأم المسجد ألوف مؤلفة من العلماء الاعلام ورجال الدولة والوجهاء وطلاب العلم ، ولما انتظم عقدهم اشترأت الاعناق لسماع كلمة من الكلمات الجامعة للأستاذ الامام ، فنهض والقلوب زفر ف حوله ، والعيون شاخصة اليه من كل مكان ، فارتجل كلمة من كلماته المعجبة ذكر فيها ما لحضرة صاحب الجلالة الفاروقية من جلائل المآثر ، وعقائل المحامد ، وماله من سيرة أطاد بها سيرة كبار العياهل الاسلاميين فى العصر الذهبى للإسلام ، فسمرت كلمات فضيلته مريان الكهرباء فى نفوس السامعين ، وحركت من أوتار إخلاصها لجلالته ما كادت الآذان تسمع أنعامها من سويداوات القلوب .

أعاد الله هذا العيد على جلالته وعلى الأمة آمادا طويلة ، وأمد به بمسده الالهى ، وعونه الربانى ، وأمتعنا من عدله بأمن واراف الظلال ، ومن حكته بوجوده يحوطه السؤدد والجلال . وما أتم فضيلة الأستاذ الامام كلمته الجامعة حتى نهض صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجواد رمضان أستاذ الأدب فى كلية اللغة ، وفاه بالخطبة التالية التى قابلها المنحفون بالاعجاب والاكبار ، وهى :

عيد الجلوس الملكى الكريم

منذ أشرقت شمس الاسلام الحنيف ، فى آفاق وادى النيل ، لم يستيقظ الروح الدينى فى نفوس بنيه ، ويتناول بلادته من أطرافها ، حتى يفيض على الشرق الاسلامى عامة ، ويتغافل فى أقطاره وممالكه وشعوبه ، ثم يعضى قدما فى طريق الحياة المتحركة ، وفى طريق النهوض المتوثب ، كما استيقظ منذ أشرقت شمس الفاروق العظيم ، فى سماء العرش العلوى الكريم — حاشا عصر الخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم .

أقد خضعت مصر للخلافة الأموية حينما من الدهر ، ثم خلفهم عليها العباسيون دهرًا طويلا ، حتى إذا اجتاحت الشرق سيلُ التتار ، واتخذوا من عاصمة الخلافة العباسية بغداد قاعدة لملك إسلامي جغرافيا ، أصبحت مصر قبلة الاسلام ، وقلبه الخفاق ، وعاصمته المتفردة بأجاده السياسية والثقافية والأدبية ؛ بيد أن الروح الدينية في أولئك العصور ، كان ينو كالأعلى عصا من القوة التي كانت عماد الحكم ، وشعاره الممتاز ، في تلك الآونة ؛ فكان يشوبه مزاج من أ كذار الاضطراب والالتواء ، يخف حيناً ، ويثقل حيناً ، كما هو شأن الحكم المسلح في كل زمان ومكان .

فأما الفاروق فقد خالطت بشاشة الدين قلبه ، فدلكت عليه مشاعره ، ومازجت روحه ودمه ، ثم أضحت على شعبه ، وعلى جيرانه ، فشايعوه عليه بمشاعرهم وقلوبهم ، واستجابت له أرواحهم قبل أشباحهم ، ولا غرو ، فإن الملك من الأمة كالقلب من الجسد ، وهى صالح القلب فقد صالح الجسد كله . لذلك كان روح الدين في عصره روحاً غير مشوب .

قالوا إن كسرى أبرويز نزل متسكراً بامرأة من الشعب ، فقال لها : هل عندك لبن ؟ فتقدمت إلى بقرة لها خلبتها ، فرأى لبناً كثيراً ؛ فسألها : أتأخذين منها ذلك القدر كل يوم ؟ قالت : نعم ؛ فقال : كم يلزمك كل سنة على هذه البقرة للسلفان ؟ قالت : درهم واحد ؛ قال : أين ترعى ، وبكم منها يفتنع ؟ قالت : ترعى في أرض السلطان ، ولى منها قوتى وقوت عيالى ؛ فقال فى نفسه : إن الواجب أن أجعل إناوة على الأبقار ، فإن نفعا عظيماً . فلما لبث أن قالت المرأة : آوؤ ! إن سلطاننا هم بجور ؛ فقال أبرويز : لمه ؟ قالت : لأن در البقرة انقطع ، وإن جور السلطان ، مقتض لجدب الزمان . فأقلع عما كان هم به .

* * *

إن استيقاظ الروح الدينية ، تجماع وسائل المدنية الفاضلة ؛ فيه تحيا الوطنية الصحيحة ، التي هى تعاون جميع أهل الوطن الواحد المختلفى الأديان على كل ما فيه عمرانها وإصلاح حكومتها ، كما شرعه الاسلام فى العدل والمساواة . وقد كان زعيم المصلحين فى العصر الحديث السيد جمال الدين الأفغانى يرشد تلاميذه ومريديه وحزبه السياسى ، الى وجوب اتحاد أهل كل قطر شرقى الى التعاون على الأعمال الوطنية : السياسية والعمرانية ؛ وكان حزبه مؤلفاً من أذكاء الملل المختلفة ؛ وكان — مع هذا — يدعو المسلمين الى الإصلاح الإسلامى الخاص بهم فى فهم العلم والدين ، وشد أواخى الأخوة الإسلامية مع جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم . فكان داعية اجتماع واتحاد وطنى فى كل وطن ؛ واتحاد شرقى عام فى دعوة الشرق كله الى الاستقلال والحرية ؛ واتحاد إسلامى فى الإصلاح الدينى ونبذ الشقاق فيه .

وكذلك كان تلميذه وخليفته الأستاذ الامام محمد عبده ؛ فقد كان يرى أن يجتهد كل فريق

من العنصرين المصريين ، في ترقية مصالحهم المالية ، وأن يتعاون الجميع على المصالح المشتركة الوطنية (١) . هذه هي وطنية الاسلام لمن عقل ؛ وهي وطنية الأزهر .

وبتيقظ الروح الديني ، ينجح الإصلاح الاجتماعي والخلق الديني .

ولئن كنا لا نزال من المدنية الفاضلة في أول الطريق ؛ والشكوى من فساد الحال العامة لما نزل قائمة ؛ إن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن اليقظة باعث العمل ، وأن أنين المريض ، من دلائل تنظر الشفاء .

* * *

أما بعد — فإن احتفال الأزهر ، وغير الأزهر ، بعيد الجلوس الفاروق السعيد ، إنما هو ابتهاج وجسداني ، بهذه الأشعة الوضاء ، التي تنبعث من تاج الفاروق ، فتشرق بسناها غرر الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية والوطنية ، وتأخذ في ضوئها طريقها الى نفوس الأفراد ، والجماعات ، والطوائف ، في مصر ، وفي غير مصر ؛ فتصلح الأحوال ، وتبلغ الآمال ، إن شاء الله ؟ طاش الملك

عبد الجواد رمضان

المدرس في كلية اللغة العربية

ثم نهض حضرة الاستاذ الشيخ علي محمد حسن فانشد هذه القصيدة العامرة :

بارقات النهى وومض الخيال مهبط الشعر في مغاني الجلال
وعبير القريض أطيب عرفا من عبير الربا ونفح الغوالي
وجمال الحياة في موكب الشعر — ، ودنيا الهدى ، ودنيا الضلال

* * *

ثم انتقل إلى المدح فقال :

ملك ألفت الحياة إليه بمقاليد أمة ذات بال
مجدها ثابت ، رسا أو تعالى مثلما وطدت رواسي الجبال
عصفت حولها الحوادث لكن أين من شحها ضعيف النصال

* * *

نحن في عالم تلاعب فيه كل لاه بالموت والآل

ما يبالي أأفقرت كل دار من بفيها أم عمرت ؟ ما يبالي
لا ترى للحياة معنى فهلا طهروها من موبقات القتال
وترامت لنا الحوادث لكن ملك النيل ساهر لليالي

* * *

كتب الله بالسكينة في الارض وأوصى بطيبات الخلال
هاهنا عندنا كتاب كريم فيه - لو شئتم - هدى الضلال
ومليك البلاد يعلى سناه ويرى الكون أطيّب الأمانال
يتهدى بنوره ويعلى بهداه وللتقى ما يغالى

* * *

يا ملىكى لك العوارف أعيت بعضها منطق وأعيت مقال
كلما شئت وصفها ببيان أطمعنى سماؤها بالحال
خلت أنى رسمتها فى قصيدى علم أجند فى القصيد غير الظلال

* * *

شكر الله والملائك والنفساس، ودين الهدى ودنيا الضلال
لك بالأمس رافة وحنانا بضحايا السقام والإقلال
شفهم داؤم فلما تولى عبث الفقر بالعظام البوالى
فدعوت الرجال للبذل والخير ر فلبى الدعاء شهم الرجال
ليس داء البلاد فقرا وسقما غير أنى أراه حب المال
ياملىكى - ومصر فى يوم عيد - ساقنى الشعر والغناء حلالى
كل يوم فى ظلك السجع عيد أنت للنيل مقعد الآمال
أيد الله ملك مصر وقوى من أوامى بنائه ذو الجلال

على محمد صمد

إجازة التدريس

فقيه الأزهر

احتسب الأزهر ابنا من أنجب أبنائه وأشدهم برآ به ، وغيره عليه ، هو الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر ، وافاه يومه المتاح في مساء السبت ٢٢ مايو سنة ١٩٤٣ فكانت لوفاته رنة أسي شملت الأزهر وكلياته ومعاهده وكل من اتصل بها وبالفقيه وعرف فضائله ، وخبر شمائله .

تخرج الأستاذ رحمه الله في الأزهر ، وبعد نياله شهادة العالمية التحق بخدمة القضاء الشرعي ، وتقلب في وظائفه سنين كثيرة عرف فيها بسداد الرأي والحزم ، ثم نقل من القضاء الى الإمامة الخاصة لحضرة صاحب الجلالة الملك ، ثم خرج منها الى مشيخة معهد الاسكندرية ، فكانت له فيها آثار ظاهرة ، ونظم مفيدة ، وسمة بين الناس طيبة رشحته الى تقلد وكالة الجامع الأزهر . وكان قد تملأ خبرة بإدارة الأعمال ، وبالزمان وأهله ، وبقيادة الموظفين ، فكان يخوض معهم في الادارة العامة عباب الأعمال المختلفة ، ويمضي معهم الساعات الطويلة مناقشة وبمحا وتحقيقا وتثبنا ، ويقابل في أثناء ذلك الواقدين عليه فيسمعهم بتلطفه وطلاقة وجهه ، لا يكاد يفرغ من هذا العمل المتواصل آنا يسترد فيه ما يفقده من قواه حتى موعد الانصراف .

لبث على ذلك بضع عشرة سنة ، ولولا صفات متأصلة فيه من المضاء والمرونة المستندة الى اللباقة ، لاصطدم طوال هذه المدة التي اجتاز الأزهر فيها ما كرم خطيرة ، وعقبات كأداء ، بعوائير لا تذلل ، ولكنه رحمه الله عاجلها على أسلوبه بالمقاربة والمياسرة ، وتمكن بذلك أن يستبقى الادارة العامة قائمة تؤدي واجباتها الديوانية خلال هذه الأزمات الشديدة .

أصابه رحمه الله قبل نحو شهرين من وفاته ، مرض عضال أصاب الطحال والقلب ، بذل كثير من الأطباء جهد العلم في معالجته فاستعصى ، وما زال رحمه الله يضعف حتى أسلم الروح في مساء السبت ١٨ من جمادى الاولى سنة ١٣٦٢ (الموافق ٢٢ من مايو سنة ١٩٤٣) ودفن في اليوم التالي بمدفنه ، في احتفال مهيب مشى فيه سعادة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك ، وصاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، وحضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية ، وأكثر الوزراء الحاليين والسابقين ، وجمهور كبير من كبار العلماء ومدرسي الأزهر ، وعدد جم من النواب وكبار الموظفين ، وألوف كثيرة من طلاب العلم . وقد صلى عليه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي في الجامع الأزهر .

وبعد إتمام الصلاة حمل طلاب الأزهر النعش على أكتافهم ، وذهبوا به الى مدفنه ، وكان في انتظاره جماهير غفيرة ينقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، فوضع في الجذث الذي كان قد أعده لنفسه ، محوطا بالترجمات من جميع الحاضرين . قالهم أغدق عليه صيب رحمتك ، وتوله من فيض كرمك بما تتولى به عبادك الصالحين .

فقيه الصحافة العربية

فوجئ الشرق صبيحة يوم الأربعاء السابع من شهر يوليو الجاري ، بوفاة عميد الصحافة العربية غير مدافع جبرائيل تقلا باشا ، فكان لنعمة أثر عميق في قلوب كل قارئ عربي يعرف ما للصحافة من مكانة بين الشعوب ، حتى لقبت هي وحدها بصاحبة الجلالة ، دون سائر المهن الكتابية والخطائية . فان كان عمل يؤديه رجل واحد ، تشترك في المباهاة به أمة بأسرها ، فهو صاحب الأهرام جبرائيل تقلا ، فاذا ضم مجلس آحادا من أمم مختلفة ، وذكر كل واحد ما بلغته صحافة بلاده من الرقي ، وعدد القراء ، اضطر المصري أن يذكر الأهرام ، وما بلغته من المحسنات الصحافية ، وسعة الانتشار ، حتى ساوت جرائد العالم المتقدمين .

والأهرام لم تبلغ هذه المنزلة إلا بالبذل وحسن التدبير والكياسة ، ولو كانت الأهرام شركة بيدها الدخل والخرج ، لكان نصيب مديريها من الأرباح لا يجاوز ما يستحقه العامل المدير الحازم ، ولكن الأهرام كانت ملكا خالصا لجبرائيل تقلا ، فكان حرا في أن يبذل وأن لا يبذل ، أما وقد بذل ، وبلغ في هذا السبيل مدى قل أن يبلغه صمغ معطاء ، فان فضله في بناء صرح الأهرام يعود اليه وحده ، ويستحق من أجل هذه السباحة أن يسجل اسمه في ديوان الخالدين . وفوق هذا فان مذهب جبرائيل تقلا في الوطنية ، وفي الخدمة الاجتماعية ، كان مذهبا منشطا لكل تقدم سياسي واجتماعي ، لجريده تحيط كل صاحب رأي برعايته في حدود القانون ، ولا تحبى كبيرا لعلو مكانه ، ولا صغيرا لقلة أنصاره ، وهذا يعود الى أنه اختار لجريده رجالا ممتازين في العقل واحترام الآراء ، وحسن الاختيار من الصفات الممتازة في كبار أصحاب الأعمال ، وإن في اختياره مدير تحريرها الحالي خير دليل على ما نقول .

وإن الأزهر ومجلته لتشارك الأمة في أساها ، وتذكر من فضائل الفقيه الكبير ما كان يقابل به بحوث حضرات العلماء من الاحترام ، ويحلها في أرفع مكانة من الأهرام . ولطالما نشر مناقشات في موضوعات إسلامية باحتة كان أولى بها المجلات ، ولكنه كان يؤثر أن يكون عوننا للأزهر في أداء رسالته ، وبخاصة في عهده الجديد . ومما يدل على عنايته بهذه الناحية ، أنه عندما ثار جدال بين القائلين بمجواز ترجمة القرآن ، والذاهبين الى تحريمها ، وانتصر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي للقائلين بالمجواز ، نشر الأهرام بحثه في عدد واحد على طوله ، ولم يكن فضيلته إذ ذاك شبيها للأزهر .

فهذه النزعة الشريفة مضافة الى الكثير من غيرها ، التي كان يتصف بها جبرائيل تقلا باشا لا يصح أن لا توفي حقها من الأكبار والاعجاب . فلا غرو إذا عُدت خسارة السياسة الحكيمة ، والآراء الحرة بموته فادحة ، أحسن الله عزاء أسرته الكريمة ، وجعل من نجله خلفا جديرا